جامعة الشهيد حمه لخضر – الوادي

معهد العلوم الإسلامية

قسم أصول الدين

الجهود الاصلاحية للشيخ محمد خير الدين البسكري (1902- 1993)

مذكرة تخرج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية- تخصص: دعوة واعلام

من إعداد الطالبتين:

- عازب أحمد مروة
- عمیار هناء

المشرف:

د. صوالح محمد نبيل

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي	رئيسا
د. صوالح محمد نبيل	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
	أستاذ محاضر	جامعة الشهيد حمة لخضر– الوادي	مناقشا

السنة الجامعية: 1442- 1443هـ/ 2021- 2022م

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٣٨

قال تعالى: ﴿**وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**﴾

(التوبة 105)

الشكر والعرفان

نتقدم بالشكر لله أولا وأخيرا، ونحمد الله حمدا كثيرا وجليلا على توفيقه لإتمام هذا العمل وعلى كل النعم التي أنعم بها علينا، ونصلي ونسلم على الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

يشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر والامتنان والعرفان للأستاذ الفاضل: "**د. صوالح محمد نبيل**" الذي تكرم بقبول الإشراف على هذا العمل والذي ساعدنا بتوجيهاته ونصائحه، والتي نرى فيها صورة مجسمة للخير والفضل

كما لا يفوتني أن أتقدم بكل الشكر والتقدير لجميع الأساتذة بمعهد العلوم الاسلامية والذين لم يبخلوا علينا بتوجيهاتهم ونصائحهم.

وفي الأخير نشكر كل من ساهم في إنجاز هذا العمل من قريب أو من بعيد.

ونرجو من الله عز وجل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ولله الحمد والمنة، وصل اللهم وسلم

على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

الطالبات

الإهداء

إلى الوالدين الكريمين راجين من الله عز وجل أن يطيل في أعمرهما ويغفر لهما ويرحمهما

ويرزقهم العافية

إلى أفراد عائلة وإلى كل الأهل والأحبة وجميع الأصدقاء، إلى الأستاذة الأكارم في

بمعهد العلوم الاسلامية

إلى كل الزملاء والزميلات، وإلى كل من علمنا حرفا في هذه الحياة

إلى كل من نعرفهم ويعرفوننا في هذه الحياة ولم تسع أقلامنا لذكرهم.

ونرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل منا ثمرة هذا الاجتهاد.

"اللهم انفعنا بما علمتنا وانفع غيرنا بعلمنا"

الطالبات

ملخص الدراسة:

يعتبر الشيخ محمد خير الدين من العلماء المصلحين في الجزائر ابان الثورة التحريرية، وقد كان له دور بارز إلى جانب علماء جمعية علماء المسلمين الجزائريين، فهو من المؤسسين الأوائل للجمعية مع الشيخ ابن باديس والشيخ الإبراهيمي وغيرهم.

واستمدت الدراسة أهميتها من دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضمن الحركة الوطنية الجزائرية من أجل تحرير الوطن، وقيمة عملها المتمثل أساسا في عمل محمد خير الدين المتمثل في أنها نادت باليقظة والإصلاح من جهة، وإعداد جيل جديد يفهم الإسلام فهما صحيحا ويهتم بقضية التربية والتعليم، التي تمثل القاعدة الأساسية لا للتقدم فحسب وإنما للحياة الحرة الكريمة من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: محمد خير الدين، الجهود الاصلاحية.

ABSTRACT

Sheikh “Muhammad Khair al-Din” is considered one of the reformed scholars in Algeria during the liberation revolution, and he had a prominent role alongside the scholars of the Association of Algerian Muslim Scholars, as he is one of the first founders of the association with Sheikh Ibn Badis, Sheikh Ibrahimi and others.

The study derived its importance from the role of the Association of Algerian Muslim Scholars within the Algerian national movement for the liberation of the country, and the value of its work represented mainly in the work of Muhammad Khair al-Din represented in that it called for vigilance and reform on the one hand, and the preparation of a new generation that understands Islam correctly and cares about the issue of education, which represents The basic rule is not only for progress, but for a free and dignified life on the other hand.

ئ Muhammad Khair El-Din, reform efforts.

المقدمة

تعتبر فترة الثلاثينات من القرن العشرين، من أهم الفترات التي تطور فيها نشاط الحركة الوطنية الجزائرية، وازدادت ضغوطات الإدارة الفرنسية على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الأساسية، وفي هذه الفترة ظهر التيار الإصلاحي ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي أقامت نشاطات تربوية وتعليمية هامة في مختلف أنحاء الجزائر، وتمكنت من المحافظة على اللغة العربية والإسلام، وأكدت على ضرورة حماية الوطن وتحريره .وهناك العديد من الشخصيات الذين ساهموا في الجمعية من أجل تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي، ومن بينهم الشيخ (الشيخ محمد خير الدين) الذي ساهم مساهمة فعالة في المجال الإصلاحي.

فالشيخ محمد خير الدين بالرغم من أنه علم من أعلام جمعية العلماء المسلمين، وأحد قادتها الذين ضحوا وبذلوا غير منتظرين إلا رضى الله عز وجل، غير أن الكثير من شبابنا لا يعرفون عنه إلا القليل، لأنهم لا يجدون في وسائل الإعلام المختلفة تلك التي تحاصرنا صباح ومساء، وتقتحم علينا بيوتاتنا وخلواتنا إلا الحديث الدائم والمكرر عن أهل الفن ولاعبي كرة القدم، وكأنهم المثل العليا التي يجب أن يتربى عليها شباب الأمة، ولا مكان لمصلح أو داعية أو مجاهد ضحى في سبيل دينه ووطنه.

لقد نشأ الشيخ محمد خير الدين والجزائر تعيش ظروفا فاقت في قساوتها كل تصور بسبب ما سلطه عليها الاحتلال من أعمال مسخ على مدى عقود من الزمن، فانفتحت عيون الشيخ على القهر والتهميش والتجهيل التي صبها الاستعمار صبا على الشعب الجزائري، فحاول رفقة الآخرين من العلماء بعث كيان الأمة من جديد مقتحمين ميادين الإصلاح بكل أنواعه وفي شتى الحقول.

ومن خلال ما سبق ارتأينا في هذه الدراسة إلى طرح الاشكالية التالية: " فيما يتمثل الدور الاصلاحي للشيخ محمد خير الدين؟

ولتبسيط الاجابة عن هذه الاشكالية قمنا بتقسيمها لأسئلة فرعية تمثلت في:

- كيف كانت الاوضاع في الجزائر في عهد محمد خير الدين؟
- من هو الشيخ محمد خير الدين؟
- ماهية جهوده الاصلاحية في الجزائر؟.

ثانيا: فرضيات الدراسة

- عانت الجزائر كثيرا في هذه الفترة فهي تتعرض للاحتلال الفرنسي الذي يقوم بطمس هويتها، وإبادة شعبها والاستحواذ على مواردها وخيراتها المختلفة.

- يعتبر الشيخ محمد خير الدين من الشخصيات البارزة في مجال الاصلاح، والدور الذي لعبه في فترة الاستعمار لمواجهة الاحتلال الفرنسي في سبيل تحرير وطنه.
- تنوعت الجهود الاصلاحية للشيخ محمد خير الدين وذلك من خلال نشاطه في جمعية علماء المسلمين، أو نشاطه كصحفي وغيرها من السبل الاصلاحية التي كان يتقنها لتحسين الاوضاع والانتفاع بعلمه.

ثالثا: أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الموضوع في إبراز علم من أعلام الاصلاح في جمعية العلماء المسلمين بالجزائر الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية، وإظهار مختلف أساليبه الاصلاحية والسياسية التي صدمت بالاحتلال الفرنسي وابراز أعماله الثورية في سبيل تحرير وطنه.

رابعا: أهداف الدراسة

هدفت الدراسة بتسليط الضوء على شخصية بارزة من الشخصيات التي كان لها دورا كبيرا في الثورة التحريرية ولم تلق الحظ الكافي، في البحوث والدراسات المختلفة من قبل الباحثين والمهتمين في موضوع الاصلاحات والجهود الاصلاحية.

خامسا: أسباب اختيار الموضوع

تنوعت أسباب اختيار الموضوع بين ما هو شخصي وما هو موضوعي كما يلي:

أسباب ذاتية:

- رغبة منا في التعرف على هذه الشخصية الاصلاحية المهمة والمهمشة.

أسباب موضوعية:

- تعلق الموضوع بالتخصص، ورغبة في تزويد المكتبة ببحث علمي يستخدم كمرجع في المستقبل.
- معالجة جانب يتعلق بشخصية قديمة النشأة حديثة الظهور في مجال الاصلاح والتوجه لدراسة العلماء والمفكرين الذين كان لهم الدور والتأثير الاصلاحي ودخولهم في الجانب السياسي في سبيل نشر الوعي والاصلاح.
- التعمق في الجهود الاصلاحية والدور الذي كان يلعبه الاصلاحيون ورجال العلم والدين في فترة الثورة التحريرية.

سادسا: منهج الدراسة

تم في هذه الدراسة استخدام المنهج الوصفي الذي من خلاله سنقوم بوصف مختلف الجوانب التي تتعلق بحياة الشيخ محمد خير الدين والعصر الذي عاش فيه والظروف المحيطة به آن ذاك، كما نصف مختلف الجهود الاصلاحية التي يقوم بها من أجل بلده، كما نقوم بتوظيف المنهج التحليلي الذي نقوم من خلاله بتحليل الفترات والاعمال والجهود الاصلاحية التي شارك فيها محمد خير الدين.

سابعا: الدراسات السابقة

ونذكر من هذه الدراسات ما يلي:

- أسعد هلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005/ 2006.
- أسعد لهلالي، المواقف السياسية للشيخ محمد خير الدين (المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936، وبيان الشعب الجزائري 1943)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 01، العدد 1، مركز الحكمة للبحوث والدراسات – الجزائر، جانفي 2013.
- حياة تابتي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية، مجلة الحضارة الاسلامية، المجلد 21، العدد 01، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، جوان 2020.
- مقدم رشيد، الشيخ محمد خير الدين - مسار وأفكار- 1902 – 1993، محلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 03، العدد 01، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، جوان 2019.
- صفية عطالي، نورة ذهبي، النشاط الاصلاحي والسياسي والثوري للشيخين ابراهيم بيوض والشيخ محمد خير الدين 1912- 1962م (دراسة مقارنة)، مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 2019/ 2020.
- أحمد سحنون، تأبين شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين، مجلة الموافقات، العدد 03، الجزائر، جوان 1994.

لم يحظى الشيخ محمد خير الدين بدراسات أكاديمية كما كان الشأن بالنسبة لبعض رفقائه في جمعية العلماء وزعماء الإصلاح في الجزائر. باستثناء دراسة واحدة حول جهوده الإصلاحية غير منشورة للأستاذ أسعد هلال، أما ما كتب عن الشيخ فهي لم تتجاوز بعض الصفحات المتناثرة في بعض الكتب التي كتبت حول جمعية العلماء المسلمين، أو ما تناولته بعض الصحف، أما غير ذلك فليس هناك ما كتب عن الشيخ خير الدين بصفة خاصة دون مشاركته مع شخصية أخرى أو جانب من الجوانب الاخرى، بالرغم من الأدوار التي لعبها والأحداث التي ساهم فيها، وهنا تكمن أهم أوجه الاختلاف بين دراستنا الحالية والدراسات السابقة، وهذا ما دفعني للتوجه إلى الاعتماد على دراسات قد أشارت للشيخ محمد خير الدين من التخصصات المختلفة الاخرى، التي تسعفني للإجابة على إشكالية هذا البحث. كما تختلف الدراسة الحالية والدراسات السابقة من حيث الحدود الزمانية والمكانية فكانت دراستنا دراسة حديثة عن باقي الدراسات التي تمت في وقت ماض.

ثامنا: محتويات الدراسة

جاءت هذه الدراسة للخوض في غمار التغيير والاصلاح من خلال الشيخ محمد خير الدين وتسليط الضوء عن حياته ومجهوداته، ولإظهار مختلف الجوانب الخاصة بالموضوع اتباعنا خطوات وقمنا بتقسيم الدراسة لتسهيلها بعد البداية التي تعتبر كمقدمة توضيحية للدراسة كان بها عرض تمهيد لهذه الدراسة والخطوات الرئيسية التي سوف تعالج بها، كما تضمنت إطارا منهجيا ضروريا يوضح أهم الخطوات المنهجية التي نتبعها في هذه الدراسة وقد جاءت مكونات هذه الدراسة بداية **بالمبحث الاول** الذي كان يضم البيئة والعصر الذي عاش فيه محمد خير الدين وقد اشتمل على البيئة الاجتماعية، والبيئة السياسية، البيئة الاقتصادية، البيئة الدعوية، ليليه **المبحث الثاني** الذي يعتبر كمبحث للتعريف بالشيخ محمد خير الدين وكان بعنوان حياة الشيخ محمد خير الدين، وضم كل من مولده، ونشأته، مساره العلمي ومؤلفاته ووفاته، لتختتم الدراسة **بمبحث ثالث** عرض فيه الجهود الاصلاحية للشيخ محمد خير الدين، مقسم بدوره إلى ثلاثة مطالب أولها مكانته في جمعية العلماء المسامين الجزائريين، ثم فكره الاصلاحي، دوره التربوي، وأخيرا نشاطه الصحفي. لتختتم الدراسة بخاتمة عامة تتضمن أهم النتائج المتوصل اليها من خلال هذه الدراسة التي نقدمها راجين المولى في أننا وفقنا في إعداد هذه الدراسة.

المبحث الأول:

عصر الشيخ محمد خير الدين وبيئته

المبحث الأول: عصر الشيخ محمد خير الدين وبيئته

سعت فرنسا منذ دخولها للجزائر إلى طمس الهوية الوطنية وتزييف الحقائق والتاريخ وترسيخ كيانها وجعل الجزائر مستعمرة تابعة لفرنسا، وذلك ما مس جميع نواحي الحياة اجتماعية كانت أو سياسية، اقتصادية أو ثقافية، نقوم من خلال هذا المبحث بحصر لتلك النواحي ومحاولة توضيح العصر والبيئة التي عاش بها الشيخ محمد خير الدين.

المطلب الأول: البيئة الاجتماعية

عشية الغزو الفرنسي للعاصمة الجزائر في 14 جوان 1830، وبعد عملية استطلاع واسعة دامت سنوات لواقع الجزائريين وآرائهم تجاه قضاياهم الداخلية، وزع الفرنسيون بيانا على السكان موقعا باسم قائد الحملة العسكرية الجنرال "دي بورمون" (Burmont – De) في محاولة للتأثير عليهم يظهر من خلال محاولة تصفح مضمونه مدى تمكن الفرنسيين من المعلومات الوافية عن السكان وطريقة تفكيرهم صيغ بشكل محكم يسمح بعزل السكان عن السلطة العثمانية القائمة، زعموا بأنهم جاؤوا إلى الجزائر لتأديب الداي حسين وليس لاحتلال البلاد وطلبوا منهم الانضمام إليهم والتعاون معهم ضد الأتراك ووعدوهم باحترام مقدساتهم وممتلكاتهم مستعملين في ذلك الخطاب الديني الذي يرغبه هؤلاء، وبذلك تمكنت فرنسا بتمكنها من معظم قادة الرأي بالعاصمة وبالتالي من سكان المنطقة من شل الطاقة المحاربة بمدينة الجزائر أولا بالتوقيع على بنود معاهدة الاستسلام بين "دي بورمون" و"الداي حسين" في 05 جويلية 1830، تعهد الأول باسم شرف فرنسا للسكان بالممارسة الحرة للديانة الإسلامية وبعدم المساس بحرياتهم واملاكهم وتجارتهم وصناعتهم واحترام نسائهم، ولعزل معظم قادة الرأي العام الجزائري بالمدينة عن الأتراك، شكل في 06 جويلية 1830 لجنة حكومية انبثقت منها ما سميت بالهيئة المركزية التي ألفت من ألمع العناصر المدنية لمدينة الجزائر، عين على رأسها أحمد بوضربة[1].

لم تكتف فرنسا بوجودها العسكري في الجزائر، بل ارتبط الاستعمار الفرنسي بسياسة تشجيع توطين الفرنسيين، ثم استقدام العناصر الأوربية إليهم ومنحهم الجنسية الفرنسية، فقدمت إليهم فرنسا المساعدات ووفرت لهم الخدمات ومنحتهم الأراضي وخففت الضرائب لكل أوروبي يرغب في الاستقرار بالجزائر[2]، فتقاطر على الجزائر عدد من الغرباء الفرنسيين والأوربيين (أو كما أصبحوا يسمون على مر الأيام بالكولون)، وقد كان تدفقهم على فترات استجابة للمغريات التي كانت سلطات الاحتلال تعرضها عليهم، فلما استقر بهم المقام في الجزائر وطاب لهم العيش أخذوا تحت حماية الجيش والقوانين الردعية يطردون الجزائريين من أراضيهم ويحلون فيها محلهم، ثم

[1] ليلى تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 17، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، ديسمبر 2014، ص 139.

[2] ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،2000، ص 31.

تضخم عددهم وبطروا، وبالغوا في المطالب من حكومتهم لكي توفر لهم شروط الاستقرار والاطمئنان على حساب الأهالي[1]، واستمرت عملية الاستيطان الأوروبي في الجزائر وتكونت طبقة بورجوازية وأخرى إقطاعية كانت الدعامة الأساسية في استغلال الجزائر ونهبها تنفيذا لسياسة ونهج الجنرال (Bugeaud) الخاصين بتوطين أكبر عدد ممكن من الأوربيين في الجزائر وتطبيقا لمقولته: إن الدولة إذا رغبت في إقامة حكم ثابت في إقليم خارجي يجب أن لا تكتفي بإخضاعه عسكريا وسياسيا فقط، بل لا بد من نشر عنصرها فيه، وبالتالي يجب على الحكومة أن تتولى بنفسها عملية نقل المهاجرين، وشق الطرق وتعبيدها، وتخطيط المدن وبناء المساكن، ومد المهاجرين بالحبوب والمواشي في السنوات الأولى من هجرتهم إلى أن يصبحوا قادرين على استثمار الأراضي واستغلالها[2].

ويمكن ذكر منها قوانين نقل الملكية ومصادرة الأراضي وتمثلت في[3]:

- مرسوم 31 مارس 1871: صدر بعد اندلاع ثورة المقراني، وينص على مصادرة ممتلكات القبائل الثائرة ومنح بعضها للنازحين من الألزاس واللورين.
- قانون فارنيي (La loi varnier) والمعروف بقانون المستوطنين ونص على إخضاع الملكية العقارية في الجزائر للقانون الفرنسي، وإلغاء جميع القوانين العقارية القائمة على الشريعة الإسلامية، أو العرف المحلي نهائيا.
- قانون الغابات: الصادر أعوام 1874 -1885-1903، وحرم على الجزائريين استغلال الغابات، وفرض عليهم عقوبات في حالة ما إذا تعرضت للحرائق.

هذه القوانين حولت الجزائريين من ملاك إلى خماسين أو عمال مستعبدين، فاق عددهم مليون خماس سنة 1914.

- مرسوم كريميو 1870 (Grimieux Décret) نص على تجنيس جماعي ليهود الجزائر بالجنسية الفرنسية.
- قانون الأهالي (code de L'indigenat) 1881: وهو من القوانين الردعية القاضي بمنح الولاة في العمالات الثلاث صلاحيات عقابية استثنائية وتوقيع العقوبات على الجزائريين خارج السلطة القضائية.
- قانون الاستقلال المالي 1900: وهو قانون امتياز تحصل عليه المستوطنون، فأصبحوا بموجبه أصحاب اليد الطولى على الشؤون الاقتصادية المالية للجزائر، ومكنهم في صياغة القوانين الخاصة بالجزائر وتوجيه سياسة البلاد حسب أهوائهم.

---

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2000، ص 415.

[2] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم(1900- 1940)، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1970، ص 25.

[3] رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر العام (1830-1889)،ج1، دار المعرفة، الجزائر ، 2010، ص 83.

- منشور جونار1906: صدر إثر ثورة عين بسام(1906)،عن الحاكم العام جونار(Jonnart) وأرسله إلى الولاة الثلاثة أمرهم بإغلاق مقاهي الجزائريين المشبوهين ومنع المهرجانات في المناطق المشكوك فيها، وسحب رخص حمل السلاح وسجن أي جزائري مشكوك فيه، ثم أعقب ذلك المنشور بقرار سنة 1908 يقضي بمنع الجزائريين من الحج إلى البقاع المقدسة بحجة انتشار مرض الطاعون في تلك البقاع، ولم يكن هناك طاعون، بل خشيت فرنسا من تأثر الجزائريين بأحداث المشرق.
- قانون التجنيد الإجباري1912: ونص على تجنيد نسبة من الشباب ممن بلغوا سن الـ (18) بالقرعة، وتكون مدة التجنيد ثلاث سنوات(مقابل سنتين للمتجنسين الفرنسيين) وقد أثار هذا القانون سخطا عظيما في كافة أنحاء البلاد، غير أن الجزائريين غلبوا في نهاية المطاف على أمرهم وزج بالكثير من الشباب في أتون حروب رغم أنفهم وقتل الكثير منهم تحت راية فرنسا في أوروبا وإفريقيا وآسيا[1] .

جراء هذه القوانين الجائرة أصبحت العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع الجزائري هي علاقة الغالب بالمغلوب، والمنتصر بالمهزوم، وفي هذا الصدد يقول أحد المؤرخين الفرنسيين وهو يصف السياسة المطبقة على الجزائريين: إنها هيمنة مفروضة على شعب مهزوم لا أكثر ولا أقل، ومن هنا ندرك تمام الإدراك صرامة تلك السياسة وسبب استمرارها، ذلك هو قانون الغالب الذي يتصرف بدافع الحقد والكراهية وتلك باختصار، قاعدة أزلية فحواها: القول القائل: (ويل للمهزومين)[2].

بالرغم من ادعاء حكومة فرنسا أن الجزائر أصبحت قطعة من فرنسا، غير أن واقع الجزائريين يكذب ذلك الادعاء، وذلك بالنظر إلى الفروق الكبيرة في القوانين الاجتماعية التي كانت سائدة في كل من الجزائر وفرنسا، وكمثال على انحطاط مستوى معيشة الجزائريين يمكن الرجوع إلى منظومة الأجور، فقد كان العامل الجزائري قبل عام 1910، تتراوح أجرته اليومية – ما بين نصف فرك وفرنك- لعمل يستغرق 14 ساعة من العمل في اليوم الواحد وإذا قارنا بين حياة أولئك المعمرين وحياة الجزائريين فنجد أن المعمرين عاشوا في رغد يتمتعون بالخير الوفير، بينما أصحاب الأرض أهل البلاد يعيشون في حرمان وفقر.[3]

ولقد كان تطور المجتمع خلال هذه الفترة إذا مرتبط بتطور نخبه، وكانت المقاومة الأهلية للفرنسيين عسكرية، بسيكولوجية واجتماعية وهكذا إذا كانت ملامح المجتمع عشية بداية القرن العشرين ولقد تميز مع بداية القرن بوجود نخب يمكن تصنيفها نخبة سياسية تتألف من الموظفين التابعين للسلطة الاستعمارية (القايد، الآغا، الباشاغا...) ومن قدماء المحاربين مع السلطة الاستعمارية، ونخبة اقتصادية تتألف من التجار ومن فئة راقية عقارية جديدة، ونخبة مثقفة تكونت خاصة من المتعلمين خريجي المدارس الفرنسية من أطباء، محامون، موظفون، معلمين،

[1] رابح لونيسي وآخرون، المرجع السابق، ص 85.

[2] شارل روبير آجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871- 1919، ج1، ترجمة، م. حاج مسعود . أ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007، ص 10.

[3] محمد خير الدين، مذكرات، ج1، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر ،2002، ص 270.

صيادلة، إداريين وحتى سياسيين غير أن الفرص السياسية لهذه الطبقة التي سميت بالمتطورة كانت رغم هذا محدودة كما أعيق تطورها السياسي أيضا وظيفتها هي الأخرى المحافظة على نفوذ الاستعمار وسلطته باعتبارهم وسطاء بينه وبين المجتمع المحلي[1].

المطلب الثاني: البيئة السياسية

لقد اتبع الاستعمار الفرنسي سياسة تعسفية عنصرية ضد الجزائريين، وهذا منذ البدايات الأولى لاحتلاله الجزائر، ذلك ما دفع جزء من سكانها إلى الهجرة نحو الخارج ولقد ازدادت تلك الهجرات بحدة بعد صدور قانون التجنيد الإجباري عام 1912، وكذا عند اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918)، حيث كان لهذه الأخيرة دورا كبيرا في تغيير معطيات المهاجرين، فقد كانت نسبة كبيرة منهم قد أجبرت بالقوة على الهجرة وذلك لتعويض المجندين الفرنسيين في المصانع والمناجم، وبالتالي حاجة فرنسا إلى اليد العاملة الرخيصة، وإلى جيش كبير لمواجهة القوات الألمانية، فجندت الكثير منهم وأرسلتهم إلى الخطوط الأمامية لجبهات القتال، حيث قامت بتجنيد 177 ألف رجل كجنود في جبهات الحرب و75 ألف رجل كعمال في التجهيز العسكري ومعامل الذخيرة في حين ذكر توفيق المدني أن عدد المشاركين الجزائريين في الحرب العالمية الأولى بلغ 400 ألف منهم 80 ألف في جبهات القتال، و80 ألف في معامل الذخيرة والبارود[2].

لم يكن الجزائريون في مطالع القرن العشرين معزولين عن الأحداث العالمية، بل تأثروا بأفكار الجامعة الإسلامية في الشرق، والفكر السياسي الاشتراكي في أوروبا، وتنافس الدول الأوروبية الغربية فيما بينها على الاحتلال .ففي نهاية القرن التاسع عشر برزت ألمانيا كدولة أوروبية كبرى دخلت مجال الصراع من أجل البحث عن المجال الحيوي، ويعتقد معظم المؤرخين الفرنسيين الذين كتبوا عن هذه الفترة أن انتقال هذه التأثيرات الخارجية إلى الجزائر يعود إلى مطالع القرن العشرين، وأن الجزائريين كانوا صامتين ومنعزلين عن الأحداث العالمية وذلك منذ انهزامهم في ثورة 1871م ضد الاحتلال الفرنسي، فاليقظة السياسية في الجزائر بدأت في التشكل منذ مطالع القرن العشرين، بسبب الثقافة الفرنسية التي تلقاها الجزائريون في المدارس الفرنسية اللائكية وكان الفرنسيون يعتقدون قبل ذلك بأن الأفكار السياسية المعادية لفرنسا تأتي من الفئة المحافظة المثقفة باللغة العربية[3].

فالاحتلال الفرنسي لم يخلق الوطنية الجزائرية، إنما كانت موجودة قبله، فالجزائريون ليسوا بحاجة إلى وجود عدو أجنبي فوق أرضهم ليعلمهم معنى الوطنية، فهي موجودة في نفوس الجزائريين وفي خلفيتهم التاريخية، فلم تكن الثقافة الفرنسية مصدرا لإحياء الوطنية الجزائرية وترقية ثقافتها بل بالعكس لقد تسبب ذلك في اضطهادها .ففي

[1] ليلى تيتة، المرجع السابق، ص 142.

[2] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ط 1، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1996، ص 161.

[3] عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899- 1985، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2005/2004، ص 02

مطالع القرن العشرين تبلورت نخبتان جزائريتان، الأولى ذات ثقافة إسلامية (محافظة)، والثانية ذات ثقافة فرنسية (تقدمية)[1].

النخبة المحافظة: هذه النخبة استمدت ثقافتها التقليدية من الإسلام، وتضم عناصرها أعيان الحضر والريف، وكان امتدادهم في كامل القطر الجزائري، لكن أنشط عناصرها كانت تتركز في المدن القديمة كقسنطينة، وتلمسان، والجزائر العاصمة، كانوا يطالبون بالمحافظة على الشخصية الإسلامية ويقفون ضد الذوبان في العادات والتقاليد الفرنسية، ومرتبطون ارتباطا وثيقا بالإسلام، ففي سنة 1895 قدموا عريضة شديدة اللهجة إلى البرلمانيين الفرنسيين والتي وقعتها 1700 شخصية محافظة من قسنطينة مما جاء فيها: " إن أعز رغبة عندنا نفضلها على جميع مطالبنا، هي المحافظة على الشريعة الإسلامية، ويعلق "أجيرون" (Ageron)على هؤلاء المحافظين بقوله: " هذه الفئة محافظة على الأصول، ومرتبطة بالتقاليد، وترفض كل تجديد"، لكن الحقيقة غير ذلك فهم ليسوا جامدين، أو رافضين للتجديد الذي يصلح لمجتمعهم، ويتماشى مع الدين الإسلامي، وعادات وتقاليد الجزائريين التي تستمد أصولها من الدين[2].

جماعة النخبة: إلى جانب فئة المحافظين كانت هناك في مطالع القرن العشرين فئة منافسة للمحافظين، لهم برنامجهم ونظرياتهم في السياسية الخاصة بالجزائر ويصفهم أحد أعضائها الشريف بن حبيلس: " ثريات الشبان المتخرجين من الجامعات الفرنسية والذين كانوا قادرين، بأعمالهم، أن يصعدوا فوق الجماهير وأن يضعوا أنفسهم في مصاف ناشري الحضارة الحقيقيين".أما فرحات عباس فيصفهم بقوله: " هؤلاء الشبان الذين درسوا في الجامعات الفرنسية، فعلمهم لم يزدهم إلا تكبرا، فهم ليسوا أطفالا لعائلاتهم، ولكنهم أبناء الشعب الجزائري، جعلوا علمهم في خدمته[3].

[1] أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في الحركة الوطنية، ش، و، ن، ت، الجزائر 1978، ص 56

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 121.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص 147.

وقد ظهرت مع مطلع القرن العشرين مجموعة من الاتجاهات الوطنية التي مثلت الجزائريين ، قسمها أبو القاسم سعد الله إلى (06) اتجاهات هي[1]:

- الاتجاه المحافظ: ويمثله مجموعة من الملاك الجزائريين.
- الاتجاه المعتدل: ويمثله مجموعة من النخبة المثقفة ثقافة فرنسية.
- الاتجاه الليبرالي: وكان يضم القسم الباقي من النخبة.
- الاتجاه الثوري: وقد تطور من الأخير.
- الاتجاه العربي الإسلامي: ممثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
- الاشتراكيون والشيوعيون: وقد بدأت أفكار هؤلاء تظهر من خلال الحزبين الاشتراكي والشيوعي الفرنسيين.

تلك الاتجاهات المتباينة هي التي مثلت الأحزاب السياسية التي ظهرت في الجزائر والتي قادها زعماء كان الاختلاف واضحا فيما بينهم، السبب في ذلك انتماءهم الطبقي وطبيعة تكوين كل واحد منهم، حيث نجد من تعلم تربية دينية اسلامية، وهناك من تأثر بالعادات الفرنسية وآخرون مارسوا العمل النقابي في المهجر.

وكأول حركة سياسية متميزة يمكن الاشارة اليها هي حركة الشبان الجزائريين التي كان يتزعمها الامير خالد بن الهاشمي بن الحاج الكبير بن الأمير عبد القادر الجزائري وقد عمل كضابط كبير في الجيش الفرنسي أثناء الحرب العالمية الأولى، وعقب هذه الحرب حرر الأمير خالد ورجاله عريضة للرئيس ولسون، بينوا فيها حالة الجزائر في ذلك الوقت وطلبوا فيها إدخال الجزائر تحت رعاية عصبة الأمم أو تحت إشراف وعناية دولة تختارها العصبة، ولما فشل ولسون في تنفيذ أفكاره أمام الأفكار القديمة الاستعمارية قام الأمير خالد بوضع خطة تقتضي مفاوضة الحكومة الفرنسية من أجل إحراز الحقوق التي وعدت بها حكومة فرنسا مسلمي الجزائر[2]، وكان من نتائج هذه الحركة أن تولدت إصلاحات 04 فبراير عام 1919، التي كانت عقيمة من الوجهة السياسية ولم تتحقق بها آمال الجزائريين وفي نفس الوقت وقع استياء من طرف الفرنسيين الذين ثارت ثائرتهم على هذه الإصلاحات، فأخذت الحكومة الفرنسية وأنصارها يضيقون النطاق حول خالد وأنصاره، فانفض من حوله كل الذين كان يعتمد عليهم وعاداه اغلب من كان والاه، ووجد نفسه وحيدا، بدأت الحكومة يومئذ تجهز قوتها للقضاء عليه بصفة زاجرة فرأى الأمير الزعيم أن بقاءه في الجزائر قد أصبح عديم الجدوى فسافر منفيا إلى سوريا، إلا أن نفسه العظيمة لم تستطيع السكوت فكان دائم الحركة لأجل القضية الجزائرية، فكان يسافر مرارا عديدة إلى فرنسا، ويلقي المحاضرات ويقدم

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المرجع السابق، ص 228.

[2] أحمد توفيق المدني، رثاء الفقيد العظيم الأمير خالد، مجلة الشهاب، جزء 11، مجلد 11، طبعة 1، عدد فبراير1936، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2001، ص 621.

العرائض إلى رجال الحكومة، وقدم الكثير من المطالب التي كانت برنامجه السياسي، والتي كان يناضل من أجلها بالقول والكتابة في جريدة الإقدام والتي عرفت بالمطالب العشرة للأمير خالد وهي[1]:

– إعطاء حق الانتخاب للمسلمين الجزائريين لتكون لهم في مجلس الأمة والشيوخ نيابة تساوي عدد نيابة الفرنسيين الجزائريين.

– إلغاء سائر القوانين الزجرية والاستثنائية والمحاكم المختصة والرجوع إلى القوانين التابعة للحق العام.

– المساواة في الحقوق التامة مع الفرنسيين في المسائل العسكرية.

– الاعتراف بالحق للمسلمين الجزائريين في الوصول إلى كل درجات التوظف العمومي غير متقيدين إلا بشرط الكفاءة.

– تنفيذ قانون التعليم الإجباري على سائر المسلمين، مع إعطاء الحرية للتعليم الحر.

– حرية الصحف والقول والمؤسسات.

– تنفيذ قوانين فصل الدولة على الكنيسة، على الدين الإسلامي.

– إعلان العفو العام.

– تنفيذ القوانين الاجتماعية وقوانين حماية العمل على المسلمين.

– الحرية التامة لسائر المسلمين في السفر لفرنسا بدون قيود.

[1] أحمد توفيق المدني، رثاء الفقيد العظيم الأمير خالد، المرجع السابق، ص 627.

نجم شمال إفريقيا:

في جو سادته الأفكار الثورية بعد الحرب العالمية الأولى، وظهور مبادئ ولسون المنادية بحق الشعوب في تقرير مصيرها، في هذا الجو المشحون بالثورات ولد نجم شمال إفريقيا E.N.A وحسب النص الأول للنجم هو "جمعية لمسلمي المغرب والجزائر وتونس، تأسست في باريس طبقا للقوانين المصادق عليها في الاجتماع العام المنعقد يوم الأحد 20 جوان 1926، بمركز الجمعية 3 نهج مارشي دي باطريارش». تهدف- حسب ما ينص عليه قانونها الأساسي- إلى تدريب مسلمي الشمال الإفريقي على الحياة في فرنسا والتنديد بجميع المظالم أمام الرأي العام، تولى مصالي الحاج الأمانة العامة للجمعية ثم رئاستها. وبعد مؤتمر بروكسل المنعقد بين 10 و15 فبراير 1927 والذي حضره الكثير من زعماء العالم أمثال سوكارنو- هوشي منه- نيهرو- شكيب أرسلان[1].

تطورت مطالب النجم فتقدم مصالي الحاج بالمطالب الجزائرية والمتمثلة في[2]:

- استقلال الجزائر.
- جلاء القوات الفرنسية.
- تأسيس جيش وطني وحكومة جزائرية.
- حجر الأملاك التي استولى عليها الإقطاعيون وإرجاعها إلى أهلها الذين سلبت منهم.
- إرجاع الأراضي والأملاك إلى الحكومة الجزائرية.
- إلغاء قانون الأنديجينا كإجراءات فورية.
- إطلاق سراح المساجين السياسيين.

وبعد سنة 1927، أصبح نجم شمال إفريقيا حزبا جزائريا بحتا انزعجت فرنسا من برنامجه السياسي ودخلت مع أعضائه في سجال كبير أدى إلى مضايقة أعضائه والزج بهم في السجون لمرات عدة إلى غاية حله يوم 26 جانفي 1937. ليحل محله حزب الشعب الجزائري الذي يعتبر امتدادا له تأسس في 11 مارس 1937 على يد مصالي الحاج، عرف بطابعه الثوري رغم الاضطهاد العنيف الذي تعرض له قادة الحزب من سلطات الاحتلال في الجزائر حيث كانوا لا يغادرون السجون الاستعمارية حتى يعودوا إليها من جديد بسبب نشاطهم السياسي الوطني الكبير ومناداتهم بالاستقلال التام للجزائر في نطاق حضارتها العربية الإسلامية ومبادئهم الثورية الأصيلة[3].

---

[1] محفوظ قداش، محمد قنانش، نجم الشمال الإفريقي(1926-1937) وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 24.

[2] محفوظ قداش، محمد قنانش، المرجع السابق، ص 25.

[3] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 2007، ص 86.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أصبح تأسيسها « ذلك الأمل الذي ما فتئ المتشائم يعده خيالا حقيقة واقعة، في اليوم الخامس من شهر ماي سنة 1931» وقد تولى تأسيسها مجموعة من صفوة علماء الجزائر الذين ينتمون إلى مدرسة التجديد الإسلامي، وهم جميعا ممن لهم ماض مشهود في خدمة الجزائر وعروبتها وإسلامها مثل: الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي والطيب العقبي والعربي التبسي والشيخ محمد خير الدين ومبارك الميلي وغيرهم، جمعت بينهم وحدة الهدف، و وحدة الفكر والمشرب والغاية، ترأسها منذ البداية الإمام عبد الحميد بن باديس الذي ظل يشغل هذا المنصب من عام 1931، حتى وفاته في عام 1940، ليتولى رئاستها بعده البشير الإبراهيمي من عام 1940، حتى عام 1956، بعد قيام ثورة نوفمبر[1].

تلخصت مبادئها كما بينها عبد الحميد بن باديس في «العروبة، الإسلام، والعلم، والفضيلة» وقال: إنها أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا. ظهرت جمعية العلماء لتحقيق هدف تتطلبه ظروف الجزائر وأوضاعها السياسية والثقافية والاجتماعية، كما قامت بمحاربة نوعين من الاستعمار، أحدهما: الطرق الصوفية المنحرفة عن الدين والتي أصبحت ألعوبة في يد الاستعمار ضد المصالح العليا للوطن، والثاني: الاستعمار الفرنسي الذي يبسط سيطرته على الجزائر بقوة الحديد والنار ويعمل على القضاء على الشخصية العربية الإسلامية للجزائر وقد انتصرت على الاستعمارين معا في نهاية المطاف.

المطلب الثالث: البيئة الاقتصادية

لقد عرف الجزائريون في مطالع القرن العشرين كل أنواع القهر والاضطهاد واليأس، وكانت هذه السنوات بالنسبة للمحتلين سنوات الأمن والاستقرار وانعدام المقاومات الشعبية، ولجأ الجزائريون إلى أسلوب الإضرابات التي كان الأوروبيون ينظمونها داخل المصانع التي يعملون فيها مع الجزائريين وانتقل هذا الأسلوب للتعبير عن الوضعية المأساوية في المؤسسات التي يعمل فيها الجزائريون دون الأوربيين، أما في الريف الجزائري فقد حاول سكانه بالانتقال إلى الفعل لمواجهة الفقر، ففي سنة 1924 أشار الحاكم العام أن الأهالي في دوار وادي أغريون ( ) Agrioun Ouedفي بلدية الطاهير المختلطة مجموعة منهم مسلحة عارضت أشغال بناء مؤسسة لمديرية الأملاك بالعنصر على قطعة أرض متنازع عليها، إن سياسية التفقير التي اتبعها نظام الاحتلال في الجزائر، بالاستيلاء على أراضي الجزائريين الخصبة، وطرد ملاكها إلى المناطق الفقيرة، واستعمال القوة العمومية، ضد كل جزائري يطالب بحقه، ومحاكمته في محكمة عسكرية على ذلك، وهدوء المقاومات الشعبية، أعطت فكرة خاطئة للاحتلال وذلك في مطالع القرن العشرين حيث اعتقد بأنه انتصر عسكريا، وفكريا، واقتصاديا، وسياسيا على

[1] حمزة بوكوشة، جريدة البصائر،العدد317، السنة الثامنة، 6 ماي 1955، ص 01، 02.

الشعب الجزائري، ولكن الحقيقة غير ذلك، فالهدوء النسبي للشعب الجزائري في مطالع القرن العشرين ما هو إلا استراحة محارب غير استراتيجيته تماشيا مع التطورات الجديدة[1].

وقد أدت سياسة مصادرة الأراضي من الأهالي وإعطائها للمستوطنين إلى أن أصبح هؤلاء الغرباء يسيطرون على معظم الأراضي وجميع وسائل الإنتاج، فبات المستوطن في قريته الاستعمارية كالسيد الإقطاعي في العصور الوسطى يعتبر الجزائريين (الفلاحين والخدم) "سلالة مقهورة" خلقوا ليكونوا عبيدا لخدمة السادة، فأدى استخدام التكنولوجيا الحديث في الزراعة من طرف المستوطنين إلى الزيادة الواضحة في ثراء المستوطنين، وكان له الأثر الخطير على حياة الجزائريين الاقتصادية والاجتماعية، حيث أصبحوا عرضة للطرد والبطالة أمام تطور التقنية الفلاحية الحديثة، إذ أن آلة واحدة عوضت على سبيل المثال 100عامل فلاحي.[2]

وكانت الملكية الزراعية تمثل المصدر الرئيسي لاقتصاد المسلمين الجزائريين، فبعد نزعها منهم عملت حكومات الاحتلال على دمج الاقتصاد الجزائر في الاقتصاد الفرنسي وتوزيع الإنتاج الزراعي على النحو الذي يخدم الاقتصاد الفرنسي والمصالح المادية للفرنسيين، وكمثال على ذلك فإن المحصول الأساسي للزراعة الجزائرية كان دوما هو القمح، إلى أن ظهرت الإصابات الأولى بمرض "الفيلوكسيرا" على أشجار العنب بفرنسا، فبدأ بالتوسع الكبير في زراعة الأعناب في الجزائر للتعويض على الخسارة التي عرفتها هذه الزراعة بفرنسا، فنتج عن هذه السياسة التوجيهية للزارعة نقص الغذاء بالنسبة للجزائريين الذين أصبحوا عرضة للمجاعة في كل حين ومطاردين من طرف شبح البطالة[3].

ومن جانب آخر لم يكن الوضع الاقتصادي بالنسبة للجزائريين بعيدا عن الأزمات والأوضاع المتردية، وذلك نتيجة لسياسة الاستعمار القائمة على استغلال الإمكانيات الاقتصادية للجزائر، ففي المجال الفلاحي قام المستعمر بتجريد الأهالي من أراضيهم بدعوى أن ملكيتها غير معروفة أو فرض غرامات مالية مرتفعة على أصحابها وفي حالة العجز عن الدفع تصادر، حيث أنه إلى غاية عام 1920 استولت إدارة الاستعمار على أكثر من 897 ألف هكتار من الأراضي، وقامت بمنحها للمستوطنين الأوروبيين الذين قاموا بتحويلها إلى ل أراضي كروم، حيث قدرت المساحة المخصصة لهذه الزراعة حوالي 400 ألف هكتار سنة 1935، وبذلك تضاعف الإنتاج السنوي للخمور وانتقل من 9 ملايين و265 ألف هكتولتر عام 1920 إلى 82 مليون و318 ألف هكتولتر سنة 1935، حيث كانت تصدر أربعة أخماسها إلى الخارج وقد كان للشركات الأوروبية دور في زراعة

[1] عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 14.

[2] أبو القاسم سعد، الحركة الوطنية الجزائرية (1900-1930)، المرجع السابق، ص31.

[3] شارل روبير آجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، جزء 1، ط1، دار الأمة، 2008، ص168.

الكروم وإنتاج العنب والخمور، لدرجة أنها استحوذت على 4425 مزرعة وذلك بنسبة 15 % من مجموع المزارع، وأنها كانت تنتج ثلاثة أرباع المحصول الجزائري من الكروم بفائدة 55 مليار فرنك[1].

وبالتحدث على المجال التجاري في الجزائر فإنه هو الآخر كان تحت سيطرة المستوطنين، حيث أن هؤلاء وبمساعدة البنوك والشركات الاحتكارية الفرنسية الكبرى تمكنوا من الهيمنة على التجارة الداخلية والخارجية معا، واستطاعوا تشكيل شبكات متداخلة، تحكموا من خلالها في سائر المرافق الاقتصادية بالجزائر بما في ذلك التجارة حيث كانت المستعمرة عبارة عن سوق للمنتوجات الفرنسية المصنعة بالإضافة إلى القهوة، الشاي، السكر وموردا هاما للمنتوجات الأولية التي كانت تصدر خاما نحو مارسيليا وسيتا، ونجد أن قيمة الصادرات كانت تفوق قيمة الواردات ذلك لأن معظم الصادرات كانت في صورة خام توجه إلى الأسواق الرأسمالية، وتتأثر بالأزمات، كما حدث في الأزمة الاقتصادية لعام 1929، في حين الواردات كانت من المواد المصنعة التي تتطور باستمرار مما يؤدي إلى ازدياد قيمتها، ثم أن موقع الجزائر كمستعمرة جعلها مرتبطة في مبادلاتها التجارية بالأسواق الصناعية خاصة الفرنسية منها، ونجد أن التفاوت بين القطبين الأوروبي والجزائري التقليدي نتج عنه تفاوت كذلك في نسبة مساهمتها في قطاع التجارة، حيث أن الصادرات كانت تمثل أغلب الإنتاج في القطاع الأوروبي الذي كانت مشاركته أساسية ومبيعاتها للخارج مكونة من عدة منتوجات زراعية ومعدنية، أما القطاع التقليدي فمشاركته في الصادرات ليست أساسية وغير ثابتة فالحبوب والأغنام من أهم صادرات هذا القطاع، لكنها شهدت انخفاضا خلال سنوات ما بين الحربين نظرا لقلة المراعي وهجرة اليد العاملة إلى المدن، ويعود ضعف الجزائر في الجانب التجاري إلى تدهور القطاعات الأخرى كالفلاحة والصناعة، كما أن الأهالي لم يتحصلوا على القروض ولا على رخص الاستيراد والتصدير باستثناء البعض منهم نقصد هؤلاء الذين أعلنوا ولائهم الكلي لسلطات الاحتلال، إلى جانب ذاك احتكرت إدارة الاستعمار تجارة الجملة من ناحية الاستيراد والتصدير – وأسندتها إلى اليهود الفرنسيين، وقد حاول بعض الجزائريين اقتحام هذا المجال لكنهم قوبلوا برفض إدارة الاستعمار من جهة، ومن ردود فعل الوسطاء (يهود وأوروبيين) من جهة أخرى، ثم إن عملية الاستيراد والتصدير تلك تتطلب نفقات ضخمة والمعلوم أن رؤوس الأموال كلها كانت في قبضة المستعمر[2].

[1] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1931-1945)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009، ص 37، 38.

[2] عبد الرحمان رزاقي، تجارة الجزائر الخارجية: صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالميتين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 43، 44.

المطلب الرابع: البيئة الدعوية (الثقافية)

أساء الاحتلال الفرنسي كثيرا للثقافة الجزائرية فالمواسم الوطنية، والتاريخ، واللغة إما اختفت وإما اضطهدت وكانت المساجد قد حولت إلى كنائس، أو مستشفيات، أو متاحف، كما أن المثقفين الجزائريين قد فقدوا تدريجيا الاتصال بماضيهم نتيجة لفقدان الكتب والمدارس بلغتهم. أما الفلاحون فقد تركوا للخرافات والجهل. وقد كانت اللغة أكثر النظم الوطنية الجزائرية معاناة، وبالتالي فأن التربية عموما قد أنضرت ".فاللغة العربية والثقافة القومية حاصرها الاحتلال الفرنسي ومنعها من حرية التعبير ومسايرة التطور العلمي، ولو في أبسط صوره، ونجم عن ذلك أضرار فادحة في الميدان الثقافي كنتيجة لسياسية التجهيل، وإبعاد اللغة العربية عن منافسة اللغة الفرنسية، وتركها تدرس كثقافة تراثية مقتصرة على المبادئ الأساسية وتعليمها في الكتاتيب والزوايا[1].

عند احتلال الفرنسيين للجزائر عام 1830، فوجدوا أهلها يدينون بالإسلام، ويتكلمون بالعربية، ويقدسونها منذ اثنتي عشر قرنا ونيف، فعز على المستعمرين أن يكون لهذه الأمة مقومات حياة، فبيتوا قتلها وإفناءها، أو مسخها على الأقل، فرأوا أن يصوبوا أول ضربة حازمة إلى اللغة مظهر كرامة الأمة وعنوان بقائها، فأصدروا قانونا يجعل اللغة الفرنسية في الجزائر هي اللغة الرسمية وحدها، وأصدروا قانونا آخر يعتبر اللغة العربية بين أهلها لغة أجنبية[2]، فاللغة العربية هي اللغة الوطنية والقومية للمجتمع الجزائري منذ الفتح الإسلامي، وتعتبر مقوما أساسيا للشخصية الجزائرية ... ربطت الشعب ببعضه البعض، وبالمجتمع العربي على مستوى الأمة العربية، والدين الإسلامي هو أحد المقومات الأساسية للشخصية الجزائرية الذي صاغ حياة الجزائريين، فهو إذا قيمة القيم في الحياة الجزائرية[3]، ومدت يدها إلى المدارس فحطمتها، وحولت المساجد إلى كنائس تمارس فيها الطقوس المسيحية فارتبكت العلوم ونضب معينها وهاجر العلماء وتشتتت وحدة القبائل التي تربط بينها الثقافة العربية الإسلامية، وانحط المستوى العلمي من الناحية العربية انحطاطا كبيرا، وأخذت الكتاتيب القرآنية تتوارى حتى أوشكت على الزوال[4] ولم يبق الاستعمار على أية مؤسسة تقوم بدور ثقافي، كما تمكن من جعل الزوايا خاضعة لنفوذه، واستولى قبل ذلك على الأوقاف التي كانت الممول الرئيسي لكل ما له علاقة بالعلم والمعرفة[5] فظلت الجزائر إلى قبل الحرب العالمية الثانية من الناحية العلمية والثقافية في حالة مزرية فمن بين1.150.000 طفل تتراوح أعمارهم بين السادسة والرابعة عشر كان 110.000 فقط يجدون مقاعد في المدارس وذلك ما يزيد عن قرن كامل من

[1] عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 22.

[2] الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى ، الجزائر، د س، ص 89.

[3] تركي رابح، مرجع سابق، ص- ص 54-60.

[4] عبد الكريم بوصفصاف، مرجع سابق، ص 42.

[5] أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعرفة للتوزيع، الجزائر، 2010، ص 116.

الاستعمار[1]، كما امتدت يد الاستعمار إلى القضاء الإسلامي فانتزع الفرنسيون اختصاصات المحاكم الشرعية وحولوها إلى محاكم مدنية، كل ذلك من أجل تحطيم أركان المجتمع الجزائري وتمزيق روابطه الاجتماعية والثقافية.

ورغم هذا الحصار المضروب على كل مورد ثقافي من شأنه أن ينتقل بالشعب الجزائري إلى حالة الوعي واليقظة، فقد ظهرت بوادر الإصلاح وعرف الوضع الثقافي تطورا ملحوظا منذ عودة الشيخ عبد الحميد بن باديس من تونس والبشير الإبراهيمي من دمشق و"الطيب العقبي" من الحجاز، فعرفت الجزائر صحفا وطنية ومدارس تعليمية، تعتمد اللغة العربية والثقافة الإسلامية والوطنية[2]، كما برزت أسماء في أفق الجزائر من أمثال "مبارك الميلي" و"سعيد الزاهري" و"أبي اليقظان" و"مفدي زكريا" و"الهادي السنوسي" وأضرابهم الكثير، فانتشرت بفضلهم اللغة العربية في الصحف والمحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد وخاصة بعد تأسيس جمعية العلماء حيث «... غلبت اللغة العربية وبدأت تسيطر وتستعيد مكانتها نتيجة لجمعية العلماء».[3]

يمكن القول أن أيادي الاحتلال طالت حتى الثقافة، لأنه يعلم قيمتها، وقدرتها على توجيه الفكر الإنساني الذي يميل فطريا إلى التحرر ورفض الذل، والقهر، فلذلك أراد أن يوجهها توجيها بما يخدم أغراضه ومصالحه الدنيئة، كما قام بهدم المفاهيم السياسية، والنظم الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي كانت سائدة في الجزائر قبل احتلالها، ولم يعمل على تحسينها، أو استبدالها بالنظم الفرنسية، وإنما ترك الجزائريين يعيشون خارج الأحداث، وعاملا على جعلهم أكثر تخلفا وفقرا وجهلا مما كانوا عليه قبل الاحتلال، وكل ذلك كان بهدف فرض سيطرته وهيمنته على الأرض والعباد[4].

[1] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 118.

[2] محمد الطيب العلوي، مظاهرة المقاومة الجزائرية من عام 1830م حتى ثورة نوفمبر 1954،ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،1985 ، ص 77.

[3] أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة مصر،1965، ص 166.

[4] عز الدين معزة، المرجع السابق، ص 26.

المبحث الثاني:

حياة الشيخ محمد خير الدين

المبحث الثاني: حياة الشيخ محمد خير الدين

المطلب الأول: مولده

ولد محمد خير الدين في سنة 1902م بمنطقة فرفار في بسكرة، من أب يدعى خير الدين بن محمد أبي جملين، وأم هي الحاجة الزهراء بنت المغربي، ونشأ مع أربعة إخوة ولدوا بعده، وهم: عبد القادر، إسماعيل، الحفناوي، عبد السالم، واهتم والدهم بنشأتهم على التربية الدينية، وقد كان يأتي إلى منزلهم علماء كثر، مثل: الشيخ العابد السماتي الجيلالي والشيخ أبو عبد الله الغمري، وبهذا أصبح نهج العلماء والمصلحين يرتسم في ذهنه، حيث كان يسمع ويرى هؤلاء الشيوخ والعلماء داخل المنزل، كيف يتناقشون ويتحادثون، فكان ذلك مهما له في تكوينه[1].

المطلب الثاني: نشأته

الفرع الاول: أسرته

تعتبر عائلة خير الدين من خلال سلسلة نسبه، ذات مجد عريق، كانوا – أثناء الحكم الحفصي ثم العثماني– أمراء في ناحية بسكرة والزاب، وسادة العرب الأقحاح، وخير الدين جده أحد أولئك الأمراء في عصره[2] وممن اشتهر من أجداد الشيخ خير الدين من قبيلة رياح الهلالية في القرن الثامن للهجرة (يعقوب بن علي* أحد أجداده الذي تولى في تلك الفترة إمارة الذواودة ورياح) ومن تبعهم من بطون بن هلال.

قال عنه ابن خلدون*[3]: " كان يعقوب بن علي بن أحمد أمير الذواودة ورياح وهو أبرز شخصية في قبائل رياح الهلاليين فشارك في كثير من الأحداث السياسية والوقائع الحربية التي دارت في القرن الثامن الهجري وقد عمر طويلا ومات عام 790هـ-1390م، في دياره بنقاوس وحمل إلى

---

[1] محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين، ج 01، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985، ص 70.

[2] أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، ط1، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، 1984، ص 278.

* **يعقوب بن علي بن أحمد:** أمير الذواودة والرياح أبرز شخصية في قبائل رياح الهلاليين شارك في الكثير من الاحداث السياسية، اهتم في عصره بالفلاحة والعمران، توفي سنة 1390م ودفن في بسكرة. للمزيد أنظر: محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 34.

* **ابن خلدون:** هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خالد (خلدون) الحضرمي، المعروف أكثر باسم ابن خلدون (ولد في يوم الأربعاء 1 رمضان 732 هـ الموافق 27 مايو 1332 وتوفي في الجمعة 28 رمضان 808 هـ الموافق 19 مارس 1406)، للمزيد انظر: عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر)، ج6، دار الفكر للنشر والتوزيع، 2000، (بتصرف).

[3] مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 360.

بسكرة ودفن بجوار الإمام أبي الفضل البسكري" وقد كان العلامة بن خلدون تربطه علاقة صداقة مع يعقوب بن علي[1].

كما برز في نفس القرن الداعية الثائر على الظلم سعادة الرحماني الرياحي* شيخ السنة، نشأة على العبادة والزهد وارتحل إلى المغرب فصحب أبا إسحاق التسولي شيخ الفقهاء والصالحين يومئذ، وعاد إلى قومه بفقه صحيح وورع وافر ونزل "طولقة" من مواطن رياح وأنذر عشيرته وبث دعوته فأجابه خلق كثير في "الزاب" و"وادي ريغ" وكثير من البلدان، فلقبهم بالسنية... قام رفقة أتباعه بتغيير المنكر وتأمين السيل وإحياء السنة ودعا إلى إعفاء الرعية من المغرم والمكس فهم بقتله...[2].

ومن عائلة الشيخ محمد خير الدين نجد شخصية أخرى كان لها تاريخ حافل بالبطولات وهو فرحات بن سعيد* آخر من تقلد مشيخة العرب من الذواودة عام1821، يقول عنه "شارل فيرو" في (تاريخ جنوب قسنطينة) نقلا عن الرائد سيروكا: "إن فرحات بن سعيد كان له تنظيم عسكري حديدي لا يخونه في المعارك، وهو رجل شجاع كريم النفس متدين، يذكرنا بالأبطال الأولين في الإسلام، وكان شعبيا محبوبا متقشفا"[3]، واثر النداء الذي وجهه "الأمير عبد القادر" إلى كافة العرب بعمالة قسنطينة، بادر "فرحات بن سعيد" بالاتصال به بمدينة لمدية وأعلن الانضمام إليه بنفسه ونيابة عن سائر القبائل العربية المتمسكة بطاعته، فوافق الأمير على هذا الأمر... فعينه فيما بعد خليفة له على إيالة بسكرة وما يليها[4].

---

[1] مبارك الميلي، المرجع السابق ص 362

* **سعادة الرحماني الرياحي**: هو الشيخ سعادة الرحماني الرياحي الطولقي نسبة إلى رحمان احدى بطون قبيلة رياح العربية كانت هذه القبيلة من بين القبائل الهلالية التي توافدت على الشمال الأفريقي. للمزيد أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر)، المرجع السابق، ص 53.

[2] انظر: مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 363.

* **فرحات بن سعيد**: كان فرحات بن أحمد بن محمد السخري المدعو فرحات بن سعيد أشهر فرسان قبائل الذواودة التي كانت مواطنها في نواحي أولاد جلال وكان له نفوذ قوي في الصحراء ، ولد سنة 1786 وتقلد مشيخة العرب سنة 1821 م في واحة سيدي خالد، للمزيد أنظر: لخضر بن بوزيد، السياسة الاستعمارية تجاه القبائل والعائلات المتنفذة في منطقة الزيبان (1830-1844)، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 05، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017، ص 96 (بتصرف).

[3] ينظر: محمد خير الدين، المرجع سابق، ص 61.

[4] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 62.

الفرع الثاني: ميولاته الثقافية والدينية

هيأ الله للشيخ محمد خير الدين بيئة داخلية وهي أسرته المتدينة والمحبة للعلم والعلماء، وبيئة خارجية والمتمثلة في بسكرة وتاريخها الحافل بالعطاء العلمي، فقد كانت بسكرة وزابها من أشهر الحواضر العلمية في القطر الجزائري حيث أنجبت أشهر العلماء قديما مثل العلامة الشيخ أبو القاسم يوسف بن جبارة الهذلي* المقرئ والمتكلم والنحوي الذي نشأ في بسكرة بداية القرن الرابع الهجري، له كتاب "الكامل في القراءات"[1]، والشيخ أبو الفضل البسكري، والشيخ عيسى بن سلامة البسكري صاحب كتاب "فتح المغرب" الذي تكلم فيه عن سيدي زرزور المشهور بضريحه وسط الواد ويدعى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمان بن زرزور الفارسي الأصل وأبوه من إتباع الإمام علي كرم الله وجهه، وذكر عنه عيسى بن سلامة أنه شهيد ودفن في المكان الذي استشهد فيه[2].

ومن العوامل الاضافية التي ساهمت في تنشئة الشيخ محمد خير الدين نشأة علمية دينية وحب العلم والعلماء، هي تلك المكانة التي حظي بها بيتهم، فقد كان بيت والده ملتقى لعدد من العلماء الذين كانوا على صلة بوالده، وهو الأمر الذي جعله قريبا من هؤلاء، يحتك بهم، ويسمع منهم كما ذكر سابقا[3].

بدأت رغبته في التطلع نحو العلم والمعرفة منذ أن كان طفلا، ثم قام برحلتين هامتين جعلتا منه فيما بعد قائدا من قادة الإصلاح في الجزائر، فالأولى كانت نحو قسنطينة في سنة 1916م، والثانية نحو جامع الزيتونة في سنة 1918م، وذلك من أجل أن ينمي ثقافته وتعلمه، فدرس سنتين في قسنطينة وانتهل منها بعض العلوم ثم اتجه بعدها إلى جامع الزيتونة التي قضى فيها سبع سنين من

---

* **أبو القاسم يوسف جبارة الهذلي**: هو العلامة الإمام الرحالة الشيخ أبو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي المغربي البسكري، ولد سنة 403هـ بإحدى قرى الزاب (بسكرة)، وقد ارتحل لطلب العلم إلى المشرق سنة 425هـ إذ قرأ على شيوخ أصبهان منهم الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني، ورحل إلى نيسابور سنة 458هـ فحضر دروس الزاهد المتصوف أبو القاسم القشيري، فمكث فيها ناشرا علمه إلى وفاته سنة 465هـ. للمزيد انظر: مصطفى عدنان العيثاوي، عمار أمين ددو، كتاب العدد (الكامل في القراءات العشر والاربعين الزائدة عليها، تأليف أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة)، مجلة الشريعة والقانون، العدد 25، جامعة الامارات، 2006، ص 53، 54.

[1] عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر- بيروت، 1983، ص 43.

[2] عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة، ط1، مطبعة سوف، الوادي، الجزائر، 2000، ص45.

[3] محمد خير الدين، المرجع سابق، ص72.

التعلم، ليتخرج منها بشهادة التطويع بعد اجتيازه للامتحان، وقد استفاد من رحلاته العلمية، حيث حصل منها على أعلى الشهادات في ذلك الوقت من جامع الزيتونة، وتهيأ بذلك للإصلاح الديني والوطني معا[1].

المطلب الثالث: مساره العلمي وميوله السياسي

الفرع الاول: مساره العلمي

لقد بدأت رغبة محمد خير الدين في التطلع نحو العلم والمعرفة منذ أن كان طفلا، فقد ذكرت سابقا أن هناك شيوخا وعلماء كانوا يزورون بيت والده، وكان يسمع ويرى ما يدور بينهم من حديث ونقاش.

إضافة إلى حرص والده على تعليم أبنائه القرآن الكريم وقراءة المتون العلمية، وإقامة الصلوات وبذلك فقد تعلم الابن البكر الكتابة والقراءة، وأتم حفظ القرآن، حيث كان يذهب رفقة أخيه إلى زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة، التي تبعد عن فرفار بحوالي ستة كيلومترات، فتعلم الفقه، والنحو، والفرائض، وقراءة القرآن على يد الشيخ المدني، والشيخ الحاج بن علي بن عثمان وغيرهما[2]، كما يسرت له الظروف للذهاب بعيدا في طلب العلم والمعرفة فقرر مواصلة طلب العلم فعزم على أن يسافر ويقوم برحلات بحثا عن العلم، فقام برحلتين هامتين جعلتا منه فيما بعد قائدا من قادة الإصلاح في الجزائر، فالأولى كانت نحو قسنطينة، والثانية باتجاه جامع الزيتونة بتونس[3].

فالأولى كانت نحو قسنطينة سنة 1916م، وزار والده مدينة قسنطينة توجه اثنائها إلى مسجد الأربعين شريفا وصلى به، وحضر درس الإمام الشيخ الطاهر زقوطة *وبعد نهاية الدرس تحدث والده

---

[1] حياة تابتي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية، مجلة الحضارة الاسلامية، المجلد 21، العدد 01، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، جوان 2020، ص 544.

[2] يمنية مشاليخ، فيلالي أسماء، الجهود الاصلاحية لأبي اليقظان من خلال جريدة الامة (1934- 1938)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة، 2016، ص 28.

[3] مقدم رشيد، الشيخ محمد خير الدين – مسار وأفكار- 1902 – 1993، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 03، العدد 01، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، جوان 2019، ص 330.

* **الشيخ الطاهر زقوطة:** هو الطاهر بن بورنان بن مصطفي بن زقوطة هو من مشاهير علماء قسنطينة، وكان إماما خطيبا – ومدرس بمسجد سيدي الكتاني بسوق العصر ودرس بالزاوية الحملاوية، وتوفي في 10 محرم 1368 هـ الموافق ل 11 نوفمبر 1948م. ينظر: زينب عسلي، عبد الله مقلاتي: معهد الكتانية بقسنطينة ودوره العلمي والوطني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة، 2013/ 2014، ص 22

مع الشيخ الذي سأله عن أبناءه عن من حفظ القرآن الكريم منهم فأجابه بأن الأبن الأكبر هو خير الدين قد تم حفظ القرآن الكريم في هذا العام، فعرض عليه أب يبعث به إلى قسنطينة ليتعلم العلم تحت اشرافه كواحد من أبنائه فوافق والده وبعث به إلى قسنطينة، وعندما وصل توجه إلى مسجد الأربعين، ووضع أغراضه في البيت الذي أعد له. وتلقى خير الدين دروسه عام 1916 م، على يد الشيخ الطاهر زقوطة، كما يقول الشيخ محمد خير الدين" تلقيت الدرس الأول في علم النحو وتابعت دراستي فقرأت عليه الأجرومية في النحو والرحبية في الفرائض والرسالة لأبي زيد القيرواني في الفقه، وأمضيت عامين في تحصيل هذه العلوم... "[1]، وفي رحلته نزل ضيفا على الطاهر زقوطة الذي زوده بالمعلومات عن الحياة العلمية بالزيتونة التي جعلته يفكر في السفر إلى تونس بعد تيقنه أن مقامه في قسنطينة لم يعد يكفي لإشباع رغبته في طلب العلم[2].

وتمثلت الرحلة الثانية في التحاقه بجامع الزيتونة بتونس سنة 1918م، عند انتهاء الدراسة وانقضاء العطل شد الرحال إلى تونس وكأنه ذاهب إلى قسنطينة دون اخبار أحد عن مقصده الحقيقي، وبعد وصوله توجه إلى حي جامع الزيتونة واشتري مسكن ومن ثم توجه إلى إدارة الجامع وملء الأوراق الخاصة بالتسجيل وأخذ الدفتر الخاص بالحضور والغياب، والسلوك والنتائج وانتظم بسلك الدراسة بهذا الجامع حسب نظامه[3]، وقضى سبع سنوات مجتهدا في تحصيل العلم، إلى أن أصبح مرشحا للحصول على الشهادة النهائية، وهي شهادة التطويع وذلك بعد اجتياز الامتحان للحصول على هذه الدرجة العلمية، وقدم إلى الامتحان في شهر جوان 1925م، وبعد ثلاثة أيام علقت النتيجة على جدران الجامع الأعظم، حيث تحصل على الرتبة الثانية من بين خمسين طالبا ناجحا ونشر الخبر في الصحف والجرائد الجزائرية من بينها جريدة النجاح، استفاد من هذه الرحلة النضج السياسي والاجتماعي[4].

[1] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 74.

[2] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 75. (بتصرف).

[3] صفية عطالي، نورة ذهبي، النشاط الاصلاحي والسياسي والثوري للشيخين ابراهيم بيوض والشيخ محمد خير الدين 1912-1962م (دراسة مقارنة)، مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 2019/ 2020، ص 29.

[4] أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2005/ 2006، ص 60.

في عام 1925 عاد الشيخ محمد خير الدين إلى أرض الوطن الجزائر التي خرج منها طالبا للعلم، فرجع إليها عالما ومصلحا من عمالقة الحركة الإصلاحية في الوطن، وكان والده قد توفي في أواخر عام 1924 مخلفا له عبئ المسؤولية تجاه الأسرة، فقام الشيخ بتربية أخوانه وتوجيههم التوجيه السليم وحافظ على ما تركه والده من ثروة في الأملاك الفلاحية والتجارية فعمل على تنميتها، كما كان الشيخ في يوم عودته من تونس قد عرج على الشيخ عبد الحميد بن باديس ليسلم عليه ويبلغه التحية من أساتذته بالزيتونة[1].

يقول في مذكراته أنه بعد هذه الفترة تفرغ للعمل الإصلاحي على مستوى منطقة الزيبان من خلال الوعظ والإرشاد وتفسير القرآن الكريم، متخذا المسجد الجامع ببلدة فرفار المركز الأساسي لنشاطه، فالتف حوله التلاميذ من فرفار والقرى المجاورة لها طلبا للعلم، فكان من بين الذين تتلمذوا عليه في تلك الفترة الشيخ فرحات بن الدراجي، والشيخ أحمد سحنون الإمام والشاعر الكبير، والشيخ العرافي المغزي، وكان منهم من تابع دراسته بجامع الزيتونة وجامع الأزهر بمصر كما هو الشأن بالنسبة للشيخ الطيب أو عبد الله الذي نال شهادة العالمية سنة 1943، وغيرهم من تلاميذ الشيخ[2].

الفرع الثاني: ميولاته السياسية

كانت الظروف مضطربة في نهاية العشرينات، حيث وقع صدام بين الشيخ خير الدين وبن قانة شيخ العرب، وقد كانت واحات الزيبان تحت الحكم العسكري، ونشاط الشيخ في فرفار وضواحيها جعل السلطات الفرنسية وعملاءها يدقون ناقوس الخطر ونظرا للمضايقات والشكاوي التي كانت تعرقله، انتقل رفقة والدته وإخوته إلى بسكرة سنة 1930 التي كانت تحت الحكم المدني وهناك اشترى دارا وبستانا من النخيل وأعد مركزا للعمل التجاري[3].

استدعى الشيخ خير الدين عام 1934 هو وإخوته لأداء الخدمة العسكرية وفق القانون الفرنسي في الجنوب، فالذين لا يتجاوز أعمارهم ستة وثلاثين عاما، ويقيمون في قطاع خاضع للحكم المدني ومدة الإقامة تتجاوز السنة أو أكثر، فهم ملزمون بالخدمة العسكرية، ولأنه قد انتقل إلى بسكرة

---

[1] مواقي عبد الحق، رواد الاصلاح محمد خير الدين (1319-1413هـ/1902-1993م)، تاريخ النشر أوت 2017، متوفر على الموقع الالكتروني لرابطة الشيخ عبد الحميد بن باديس باني النهضة العلمية والفكرية بالجزائر (1889- 1940)، **https://binbadis.net**، تاريخ الاطلاع، 30/ 03/ 2022، 12:14.

[2] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 76.

[3] أسعد هلالي، المرجع السابق، ص 57.

قادما من واحات الجنوب، وأقام بها أكثر من سنة فقد كان ضمن المجندين، لكنه لم يرض بذلك فقام بالاتصال سرا بالكاتب المكلف بالشؤون العربية آنذاك، والمسؤول عن الوثائق في إدارة الحاكم العسكري ببسكرة، وقدم المساعدة له ولإخوته، وكما ورد في مذكراته أن المساعدة تمثلت في اضافة عشر سنوات في عمر كل واحد منهم وتخلصوا من التجنيد في صفوف الجيش الفرنسي[1].

وكان الانتقال من قرية صغيرة إلى مدينة بسكرة التاريخية هي بداية لمرحلة مهمة في حياته، في المجالين المادي والإصلاحي، فالأول كان بتعاون جميع إخوته، والثاني كان بمفرده حيث سينضم إلى الحركة الإصلاحية، التي قادها الشيخ الطيب العقبي ببسكرة، وكان تأييد أسرته له سببا وحافزا لفتح الباب الإصلاحي أمامه وبداية مسيرة جديدة وطويلة في نضاله الوطني[2].

كما كان مساهما وناشطا في أكبر تجمع سياسي عرفته الجزائر في عهد الاستعمار الفرنسي فكان من الأوائل الذين وضعوا اللبنة الأولى لعقد أول مؤتمر إسلامي جزائري، بدعوة من الامام ابن باديس في 06 جوان 1936، ففي مساء يوم المؤتمر اجتمع زعماء المؤتمر وقرروا تأسيس لجنة مؤقتة تتكون من تسعة أعضاء، ثلاثة من النواب، وثلاثة من العلماء، قبل يوم واحد من المؤتمر التاريخي حيث اجتمعت القوى الجزائرية على اختلاف مشاربها واتجاهاتها وذلك بنادي الترقي وتدارسوا مطالب الأمة الجزائرية، وحضر عن العلماء كل من الإمام ابن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ خير الدين بهدف استشارتهم فيما يتعلق بالمطالب الدينية وكذا اللغة العربية ومكانتها[3].

المطلب الرابع: أعماله ووفاته

الفرع الاول: أعماله

مارس الشيخ خير الدين عدة وظائف ومسؤوليات ذلك ما تم جمعه من الوثائق والكتب والشهادات، وبالتالي يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مجالات، الأول في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والثاني خلال الثورة التحريرية وأخيرا بعد الاستقلال، كان الشيخ ركيزة صلبة من الركائز التي تأسست عليهم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، علمته الأيام والسنين خلال مسيرته العلمية عوامل النهضة بالشعوب وإرجاع الثقة إليها في دينها، وكيفية مجابهة الاستعمار الذي استوطن أرض

[1] انظر: محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين، ص 239، 240.

[2] أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، المرجع السابق، ص 58.

[3] أسعد لهلالي، المواقف السياسية للشيخ محمد خير الدين (المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936، وبيان الشعب الجزائري 1943)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 01، العدد 1، مركز الحكمة للبحوث والدراسات – الجزائر، جانفي 2013، ص 273.

الجزائر عقودا طويلة، هذه الصفات في شخصيته أهلته لتقلد مهام ومسؤوليات لا يقوى على تحملها إلا القليل، كما أن الحكمة والدهاء كانتا السمات البارزة في شخصيته، كما كان الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس كثيرا ما ينتدبه للمهمات الصعبة نظرا لما كان يتمتع به من ذكاء[1].

تقلد الشيخ عدة مهام ومسؤوليات ويمكن تقسيمها كما يلي[2]:

في إطار جمعية العلماء:

- حضر اجتماع الرواد تمهيدا لتأسيس الجمعية عام 1928.
- كان من المؤسسين الأوائل لجمعية العلماء يوم 05 ماي 1931.
- شارك في تأسيس جمعية ومدرسة الإخاء ببسكرة عام 1931، وعمل كاتبا عاما لها.
- تولى امتياز جريدة البصائر منذ صدورها في 27 ديسمبر 1935، إلى أن توقفت من طرف الجمعية في 25 أوت 1939.
- عمل أمينا عاما للجمعية ثم أمين مالها.
- عين عضو اللجنة التنفيذية للمؤتمر الإسلامي سنة 1936.
- شارك في البيان الجزائري شهر فيفري 1943 إلى جانب فرحات عباس وممثلين آخرين لمختلف الاتجاهات الوطنية.
- شارك في تأسيس جبهة الدفاع عن الحرية واحترامها في أوت 1951، إلى جانب سياسيين آخرين
- تولى نيابة مدير معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة ورئاسة لجنة التعليم العليا

في إطار ثورة التحرير:

- بعد ما اندلعت ثورة التحرير عين الشيخ ممثلا لجبهة التحرير الوطني بالمغرب.
- شارك في مؤتمر طنجة المنعقدة من27 إلى 30 أفريل 1958، إلى جانب فرحات عباس وعبد الحفيظ بوصوف وعبد الحميد مهري وأحمد فرنسي وأحمد بو منجل.
- عين عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية وحضر مؤتمر طرابلس.

[1] حياة تابتي، المرجع السابق، ص 546.

[2] محمد الطاهر فضلاء، الشيخ محمد خير الدين آثار... ومآثر، ط1، مؤسسة الضحى، الجزائر،2000، ص65.

بعد الاستقلال:

-تم ترشيحه عضوا ضمن لجنة وضع أول دستور للجزائر.

-عين عضوا بأول مجلس نيابي للجزائر المستقلة.

-لعب دورا كبيرا في تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى سنة 1966.

وفي سنة 1976، فرضت عليه الإقامة الجبرية بعد معارضته للسياسة التي كانت قائمة آنذاك، فتفرغ للكتابة وشؤون أسرته، وفي سنة 1984، أهدى مكتبته الزاخرة إلى جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة في جناح يحمل اسمه[1].

الفرع الثاني: وفاته

لقد عاش الشيخ محمد خير الدين واحد وتسعين عاما، فترة كان جزءها الأكبر قد عاشه أثناء الفترة الاستعمارية، حيث كرس حياته في سبيل الدفاع على مقومات الشخصية الوطنية من لغة ودين في إطار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ثم جنديا في الثورة التحريرية، أما بعد الاستقلال فنشاطه كان محدودا وقليلا نظرا لتقدمه في السن، ومنذ بداية الثمانينات مال إلى العزلة وقراءة الكتب، ويقول أحد الكتاب: ثم مال إلى العزلة في منزله معتنيا بالقراءة والتأمل واقتناء الكتب الثمينة والمخطوطات النادرة، وتمكن من إنشاء مكتبة عظيمة يعتز بها، ويعمل لإنمائها، وكثيرا ما كان يستقبل في داره إخوانه القدماء-وهم كثيرون -من علماء وسياسيين ومناضلين وتجار ومحترفين يحمل له الجميع الاحترام والتقدير والثقة ويجدون في حضرته الأنس والذكريات العطرة[2].

توفي الشيخ محمد خير الدين – رحمه الله - يوم الجمعة 26 جمادى الثانية1414 هـ، الموافق ل 10ديسمبر 1993م، في الجزائر العاصمة بعد مرض عضال ثم نقل جثمانه إلى بسكرة ودفن في 11ديسمبر بعد صلاة العصر في روضة أسرته بمقبرة البخاري، وقد قام بتأبينه الشيخ علي المغربي بكلمة شملت معظم محطات حياته، وشيعت جنازته في موكب عظيم، وقد حضر الجنازة، شخصيات علمية وثقافية بارزة منها محمد الصالح يحياوي، محمد الشريف مساعدية، محمود الواعي سليمان

[1] محمد الطاهر فضلاء، المرجع السابق، ص 66.

[2] أحمد سحنون، تأبين شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين، مجلة الموافقات، العدد 03، الجزائر، جوان 1994، ص 381.

الشيخ، محمد سعيدي وغيرهم، وقد ألقيت قصيدة تأبينية كتبها الشيخ أحمد سحنون، ونظرا لمرضه فقد أوكل الشيخ محمد الطاهر فضلاء[1].

وتمثلت آثاره في:

- يملك مكتبة هائلة وزاخرة بشتى الكتب القديمة والحديثة في كل فنون المعرفة، وقد قدمها هدية لمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية تحتوي على 770 كتابا، نجد في الديانات 251 كتابا، في التاريخ 184 كتابا، في الآداب 102 كتابا، في المعارف العامة 33كتابا، في الفلسفة 25 كتابا، في العلوم الاجتماعية 41 كتابا، اللغات 17 كتابا.

- أصدر كتابه مذكرات خير الدين في جزئيين الأول يشتمل على كل نشاطه منذ بداية حياته إلى قيام الثورة صدر سنة 1985م، وأما الجزء الثاني تضمن نشاطه من قيام الثورة إلى غاية الاستقلال صدر سنة 2002م.

- قام بتصدير مجموعة جريدة البصائر من ديسمبر 1935م إلى جانفي 1937م، بطلب من الشيخ محمد الحسن فضلاء أحد تلاميذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- له مجموعة من المقالات التي كتبها في جرائد وصحف الجمعية وقد كتب الأغلبية منها في البصائر، وبعضها في الشهاب، وهي تعالج مختلف المواضيع الدينية والتعليمية[2].

[1] حياة تابتي، المرجع السابق، ص 547.

[2] محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج 1، ط1، شركة دار الامة للنشر، الجزائر، 1999، ص 10.

المبحث الثالث:

الجهود الاصلاحية للشيخ محمد خير الدين

المبحث الثالث: الجهود الاصلاحية للشيخ محمد خير الدين

الشيخ محمد خير الدين رائد من رواد الأوائل، وعالم من علمائنا المصلحين، له نشاط واسع في تأسيس المدارس وباع طويل في كل الميادين الدينية والاجتماعية والسياسية.

المطلب الأول: مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الشيخ محمد خير الدين رائد من الرواد الأوائل، وعالم من علمائها المصلحين وأحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان من جيل الرجال العمالقة وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس ومعه الشيخ الإبراهيمي، والشيخ مبارك الميلي والأستاذ أحمد توفيق المدني، والشاعر محمد العيد آل خليفة والشيخ العربي التبسي وغيرهم كثيرون، وهذا يبين ما للجزائر من رجال عمل معظمهم تحت راية الإسلام في نطاق جمعية العلماء، لقد ترك هؤلاء العظماء على صفحة الجزائر المجاهدة أخاديد عميقة، ورفعوا في سمائها منارات مضيئة[1].

ومكانة الشيخ خير الدين افتكها منذ السنوات الأولى للعمل الإصلاحي الذي قاده ابن باديس في العشرينيات، فقد حضر الشيخ خير الدين اجتماع الرواد سنة 1928 م وكلفه الشيخ ابن باديس بالوعظ والإرشاد في" فرفار "وما جاورها من قرى واحات الزيبان، وبذلك يمكن أن يعتبر من الرواد الأوائل الذين وضعوا الأساس الأول لميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي 1931 م، لكنه لم يكن من أعضاء مجلس الإدارة الأول نظرا لانضمام ممثلي الزوايا والمثقفين أشخاص عاديين، وابن باديس لم يشأ أن يكون عدد العلماء المصلحين هم الأغلبية كي لا يلفت انتباه الإدارة الفرنسية وحتى أصحاب الزوايا والمرابطين حتى لا يقضي على الحركة في مهدها، وبالتالي فالتقريب بين جميع الشرائح المثقفة في البلاد، وظهر اسم الشيخ خير الدين في مجلس الإدارة بعد الانشقاق الذي وقع عام 1932 م، حيث تم إخراج ممثلي الزوايا والمرابطين بعد صراع عنيف قاده ابن باديس وزملاؤه سمح للحركة الباديسية بالانطلاق[2].

إن سنة 1932 م، لم تكن سنة تسوية الحركة الإصلاحية الباديسية، لكن كانت أيضا نقطة بداية إرساء جذورها عبر مختلف أنحاء القطر الجزائري، وأصبح الشيخ خير الدين مراقبا عاما للجمعية،

[1] بسام العسيلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1983، ص 07.

[2] عبد الحميد بن باديس، جمعية العلماء المسلمين في عامها الثاني، مجلة الشهاب، مجلد 8، جزء 8، 1936م، ص 400.

حيث كان يراقب كل نشاطات الجمعية وهي في الحقيقة مهمة صعبة، كما أن هذه المكانة جعلت الشيخ يتحرك في كل الاتجاهات خدمة لمبادئ الجمعية التي دافعت عن الدين واللغة والوطن[1].

لقد كان الإمام ابن باديس يعتز كثيرا بالشيخ خير الدين، فأثناء تجديد المجلس الإداري عام 1938م، وأثناء التعريف بأعضائها قال: " وثالثهم الشيخ محمد خير الدين عميد الحركة الإصلاحية في بسكرة وضواحيها وهو- من بين إخوانه- ممتاز بحسن التدبير التجاري والفلاحي، الذي قل أن لا يعود عليه بالأرباح لكنه كثيرا ما ترك ذلك في سبيل خدمة الجمعية بذلك التدبير، وهو مراقب الجمعية العام"[2]، لم يقتصر هذا على الإمام ابن باديس بل كان أيضا من زملائه في الجمعية فالشيخ الإبراهيمي الرجل الثاني في الجمعية دائما يعتمد على الشيخ خير الدين في حل معظم المشاكل الصعبة، لذلك كان ينشد دائما قوله: " الدين خير كله وأنا أرى من خير هذا الدين خير الدين"[3].

ويبدو أن الشيخ خير الدين قد نال ثقة الإمام ابن باديس منذ الزيارات الأولى لبسكرة ففي عام 1931م، قام وفد العلماء بزيارة إلى الصحراء، فكانت المحطة الأولى بسكرة، فقام الشيخ ابن باديس بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد في المسجد، أما الشيخ خير الدين فإنه لم يدخل المسجد بل لازم الوقوف خارجه يراقب الموقف، ويعمل على تمكين المسلمين من سماع درس الإمام، لقد كان الشيخ خير الدين داهية فهو يحسن التدبير لذلك فقد كلفه الإمام ابن باديس في أواخر سنة 1934 م، بالتوجه نحو ورقلة نظرا للمشاكل التي تعانيها شعبة الجمعية هناك والعودة بتقرير مفصل، لكن الشيخ ذكره بالقرار الذي يقضي بمنع أعضاء جمعية العلماء من الدخول إلى الصحراء.

وهناك من تلاميذ الجمعية من يتذكر مواقف ومكانة الشيخ فيقول: "والذي نعرفه عن الشيخ خير الدين هو الثبات على المبدأ والشجاعة في قول الحق، والحكمة في التصرف، وقد خدم الجمعية بعمله وعلمه وماله"[4].

لقد كان الاستعمار الفرنسي وعملاؤه يتتبعون ما يقوم به الشيخ خير الدين وكانوا يعرفون أنه أحد أعمدة الحركة الإصلاحية في الجنوب، وللحد من نشاطه وعرقلته صدر أمر من عامل العمالة

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى(1931- 1945م)، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للإتصال والنشر والإشهار، 1996م، ص ص 405- 426.

[2] عبد الحميد بن باديس، " المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، جريدة البصائر، العدد137، 1938، ص2 .

[3] خير الدين الزركلي، الأعلام، جزء 6، ط 7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1986، ص 54.

[4] محمد خير الدين، مذكرات، جزء 1، ط 2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002، ص ص 227- 231.

يقضي بنفيه، وأبلغه عميد الشرطة ببسكرة بذلك ووضعه تحت الإقامة الجبرية" بمجانة" في دائرة برج بوعريريج، ويقضي بها شهرين ليطلق سراحه بعد استجوابه وتأكيده على انه يقوم بأعمال تربوية دينية لا علاقة لها بالسياسة أو بتهديد فرنسا[1].

رغم ما تعرض له الشيخ خير الدين من مضايقات ونفي إلا أنه واصل المسيرة وزاد إصراره على أداء رسالة الجمعية، لذلك فقد استدعاه الإمام ابن باديس كعادته في صيف 1937 م، بعد الاضطراب والتصدع الذي وقع للحركة في العاصمة وضواحيها فقد أغلق نادي الترقي، ونادي بلكور بالعاصمة، كما تم غلق نادي شرشال في البليدة وشلت حركة النوادي الأخرى في منطقة الوسط، كما أن الشيخ الطيب العقبي كثر عليه الضغط والتضييق، خاصة من شبيبة(حزب الشعب)، ويبدو أن السلطة الفرنسية قامت بغلق النوادي ورصد كل التحركات نظرا للاضطرابات التي كانت تسود أوربا بسبب استفحال الخطر النازي الألماني، واقتراب موعد الحرب العالمية الثانية، لذلك تخوفت فرنسا من وقوع تمرد أو عصيان داخلي قد يشكل خطرا عليها. لقد كان الشيخ خير الدين أمام الأمر الواقع لذلك أقام بالعاصمة ثلاثة أشهر، عمل رفقة الشيخان حمزة بوكوشة والشيخ فرحات بن الدراجي على تجديد نشاط الشعب والفروع، مع إجراء جولات في أنحاء عمالة الجزائر، وتم تنظيم العمل بالنوادي، وكان الشيخ يلقى دروسا فقهية يوميا بنادي الترقي، كما أنه يتنقل إلى نوادي بلكور وشرشال والبليدة، وسارت الحركة الإصلاحية بشكل طبيعي بعيدا عن الصراعات[2].

لقد استطاع الشيخ خير الدين أن يؤدي دوره الإصلاحي على أحسن وجه والثقة التي وضعها فيه الشيخ البشير الإبراهيمي كانت محل تقدير واعتزاز، حتى أن الإدارة الفرنسية كانت تخشاه، فوضعته في خانة النشطاء داخل الجمعية ومن الذين يمكنهم أن يتزعموا الجمعية، فبعد وفاة الإمام ابن باديس عام 1940 م، حاولت الإدارة الفرنسية أن تتدخل في اختيار خليفة للإمام، واقترحت الشيخ الطيب العقبي كرئيس للجمعية واغتنمت فرصة نفي الإبراهيمي، كما أنها كانت تتوقع أن يتولى مهام الجمعية الرجال المقربون كالشيخ العربي التبسي، والشيخ مبارك الميلي، أو يتولاها عضوان هما الشيخ

[1] مصطفى الاشرف، الجزائر الامة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 243.

[2] مقدم رشيد، الشيخ محمد خير الدين مسار وأفكار 1902- 1993، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد 03، العدد 01، 2019، ص 338، 339.

محمد خير الدين وبوشمال[1]، وتم الاتفاق داخل الجمعية على تعيين الشيخ البشير الإبراهيمي حتى وهو في المنفى باعتباره نائبا للرئيس[2].

لقد كان داهية كما يقول أحد تلامذة الجمعية: "الشيخ محمد خير الدين همزة وصل بين الأحزاب السياسية والصحافة، تحتاجه دائما جمعية العلماء، لقد كان داهية"[3].

إن الحنكة الدبلوماسية التي اكتسبها الشيخ خير الدين كان مصدرها تنقلاته المستمرة في أنحاء القطر في إطار جمعية العلماء، والصدامات المستمرة مع الإدارة الفرنسية، كما أنه كلف بمهمة في غاية الأهمية عام 1952 م. أثناء الاجتماع الذي عقدته جبهة ميثاق اتحاد حزب الشمال الإفريقي بباريس حيث شاركت فيه أحزاب مختلفة من تونس والمغرب وشارك من الجزائر حزب البيان الجزائري وحزب انتصار الحريات الديمقراطية[4].

المطلب الثاني: فكره الإصلاحي

يرتبط مفهوم الإصلاح بالحركة الإصلاحية التي ظهرت في الجزائر وتزعمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأثرت بتيار الجامعة الإسلامية الذي كان وراءه رجال عظماء ، كجمال الدين الأفغاني ، ومحمد عبده ، ومحمد رشيد رضا ، الذين دعوا إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح ومحاربة البدع والخرافات وكل ما يخالف كتاب الله ، وسنة رسوله [5].

وحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله[6]: فإن الكثير يربط الإصلاح في الجزائر بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، لكن الإصلاح أوسع من مفهوم الجمعية، ويستدل بعدد من المثقفين من أصحاب الثقافة العربية الفرنسية الذين كانوا مصلحين ولم ينظموا إلى الجمعية،

---

[1] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1930- 1945م)، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1981م ، ص 305.

[2] محمد خير الدين، محمد الميلي، مناقشات حول خلافة ابن باديس، مجلة الثقافة، العدد 81، الجزائر، 1984، ص ص 165-174.

[3] أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 61.

[4] محمد خير الدين، المرجع السابق، ص 304- 305.

[5] مقدم رشيد، الشيخ محمد خير الدين مسار وأفكار 1902- 1993، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد 03، العدد 01، 2019، ص 340.

[6] أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م، ص 90.

حيث خالفوها في بعض المبادئ والأهداف، كما أن الجمعية قد شخّصت الحركة الإصلاحية في الجزائر وكونت مدرسة جديدة لم يقم بها الإصلاح القديم والجمعية ولدت نتيجة الحركة الإصلاحية وليس العكس، ويرى أحد الكتاب أن الجمعية اقتصر عملها على الصعيدين الثقافي والديني بقوله:"إن التراث السياسي الثقافي الذي تولى الرعيل الأخير من النخبة المثقفة القسنطينية في 1887م، نقله إلى الخلف في خطوطه العامة قد انشق أو يكاد عندما انتقل إلى جمعية العلماء التي خففت أو أهملت جوانب السياسة الصرفة وركزت على جوانبه التربوية (نشر اللغة العربية) والروحية (محاربة العقلية الخرافية التي يروجها المرابطون والمطالبة بفصل الدين عن الدولة) والتشريعية (العمل من اجل استقلال القضاء الإسلامي الأصيل)"[1].

إن الإصلاح الذي قامت به جمعية العلماء هو في الحقيقة من وضع الإمام عبد الحميد بن باديس وهذا الإصلاح ينطلق من آلام وآمال الشعب الجزائري، ويقول في ذلك الدكتور عبد الكريم بوصفصاف: "والحق أن بن باديس لم يفصل في حركته بين النظرية والتطبيق، أو بعبارة أدق لم يفرق بين العقيدة والعمل، وقد بدأ الإصلاح سهلا هينا جعل المستعمر يظن أن لا خطر فيه، ذلك أنه بدأ يتكلم عن الدين والأخلاق والعقيدة وضرورة الإصلاح الديني، والنصيحة من أجل الآخرين والشورى عند الملمات استعدادا لمرحلة الجهاد والكفاح، أي أنه وضع البذرة وتعهد النبتة"[2].

لقد تكون الشيخ خير الدين في مدينة قسنطينة لمدة سنتين ثم إنتقل إلى تونس ودرس بها لمدة سبع سنوات ليحصل على شهادة التطويع العالمية التي تعطى الحق للحاصل عليها التدريس متطوعا بالجامع بعد إجراء إمتحان، وقد مكّن مستواه العلمي من أن يكون واحدا من دعاة الإصلاح البارزين في جمعية العلماء، فبعد تخرجه من الزيتونة بثلاث سنوات حضر إجتماع الرواد الذي مهد لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م، ويصبح الشيخ خير

[1] مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 243.

[2] عبد الكريم بو صفصاف، الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس(دراسة فكرية تاريخية مقارنة)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة تونس الأولى،1996-1997، ص 229.

الدين من أعضائها البارزين ويعين كمراقب للجمعية ليعلن هو وزملاؤه حربا ضد الاستعمار لا هوادة فيها، مدافعين عن دينهم ولغتهم ووطنهم، وفق مبادئ وأهداف الجمعية[1].

والحق أن الشيخ خير الدين قد أعطى تعريفا شاملا للجمعية سنة 1935م بقوله: "وأصول هذه المبادئ هي: إحياء الإسلام الصحيح بإحياء الكتاب والسنة ونشرهما بين الناس حتى يرجع لهما سلطانهما على نفوس المسلمين، ونشر فضائلها وآدابها، وإحياء اللغة العربية وآدابها، وإحياء التاريخ الإسلامي، ورجاله الغر الميامين" . كما أنّه عرف الإصلاح يقوله: "إن الإصلاح الحقيقي الثابت الأركان المتين الدعائم هو ما تبنيه شبيبتنا المتعلّمة على أساس العلم، ولا نفرح ببلوغ هذه الغاية حتى نؤمن بصدق توجه الشبان إليها توجها جديا صحيحا"[2].

يمكن القول أن الإصلاح عند الشيخ خير الدين لا يختلف عن الإصلاح عند باقي القادة المصلحين، فهي عمليات متواصلة فهو يركز على إصلاح النفس بإتباع الدين الصحيح بالكتاب والسنة، كما أنه يركز على إصلاح المجتمع بنشر الفضائل والآداب ويركز أيضا على النشء أو الشباب بضرورة تعلّمهم ومعرفتهم للغتهم وإحياء تاريخهم وأمجادهم، لقد كتب الشيخ خير الدين مجموعة من المقالات في البصائر والشهاب، عالج في اغلبها قضية التعليم ومنه ما هو موجه نحو الزوايا، ففي أول مقال كتبه سنة 1927 في جريدة الشهاب بعنوان "نهضة الجزائر الدينية أو موقف المصلحين إزاء خصومهم "، تحدث الشيخ عن الإصلاح بحماس كبير وحث على إتباع الأمة لدينها والنهوض به والابتعاد عن الباطل والخرافات ويجب على الأمة ان تساعد المصلحين، وهاجم أولئك الذين يعرقلون الإصلاح ويقفون ضده، وإتهمهم بأنهم يخافون على مناصبهم ومكانتهم في حالة ما إذا واجهوا العلماء المصلحين لأنهم أنصار الباطل ودعاة التضليل، ويبين أهمية الإصلاح الديني بقوله: ذلك هو الأمر الجليل لعلماء الإصلاح على الاصداع بكلمة الحق وإن كانت مرة المذاق وهو الباعث الأصلي لهم عن التجاهر بقضية الإصلاح الديني إذ هو الركن الأعظم الذي عليه مدار حياتنا معشر المسلمين"[3].

---

[1] أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 65.

[2] البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي، الجزائر، دار الكتب، الجزائر، 1982، ص 176.

[3] محمد بن خير الدين، " نهضة الجزائر الدينية، أو موقف المصلحين إزاء خصومه "، جريدة الشهاب، العدد 103، 1927، ص ص 2-6.

كما أن جريدة البصائر – كان الشيخ خير الدين صاحب الامتياز في سلسلتها الأولى من 1935 إلى1939– حظيت بمقالات كتبها مترجمنا تدور في أغلبها حول التعليم العربي الإسلامي، ومنها ما هو موجه إلى الطرقيين، فقد كان يرى الشيخ التعليم العربي الإسلامي جزءء هام من هذه الأمة، وما قامت به الإدارة الفرنسية من غلق للمكاتب القرآنية وللمدارس الأهلية الدينية هو في الحقيقة طمس لكيان الأمة وهويتها وضرب في جذورها التاريخية الإسلامية، حيث سنّت قوانين منها ما أكد فصل الدين عن الدولة، لكنه طبق على المسيحية واليهودية فقط، ولم تطبق على الدين الإسلامي، ويرى الشيخ خير الدين أن الحرية الدينية ضرورية لكي تسير بشكل صحيح فيقول: "في هذا الذي يسمونه عصر النور والمدنية في هذا الوطن ...تقفل المكاتب القرآنية وتوصد المدارس الأهلية الدينية ويضرب على أيدي القراء ورجال الدين فيحال بينهم وبين أداءء وظيفتهم التي هي نشر تعاليم الإسلام...في حين إنّنا نرى رجال الدين من الكاثوليك والبروتستانت حتى التابعين لحكومات أجنبية منهم والمشعوذين المنسوبين إلى الإسلام...يتمتعون بكل حرية في حلهم و ترحالهم"[1].

لقد كان الشيخ خير الدين مهتما بالإصلاح الديني كباقي أقرانه من العلماء لكن يبدو أنّه كان مهتما أيضا بالإصلاح الوطني الذي يرتبط بالحقوق الوطنية والسياسية وهذا منذ رجوعه من تونس حيث يقول: "وهكذا إستفدت من إقامتي بتونس – زيارة على العلم – بزاد آخر سياسي واجتماعي ثري، ورجعت إلى الجزائر مؤمنا بأن نهضتنا تتّصل بالعمل في المجالين السابقين: الدين وإذكاء روح النهضة بين المواطنين"، وهذا الجانب من الإصلاح تزامن مع الإصلاح الديني، فمترجمنا كان مراقبا عاما للجمعية، فكان يراقب المدارس والمساجد ويتابع نشاطها، لتخريج جيل صلب متمسك بدينه الإسلامي ولغته العربية، ويكون قادرا على التمييز بين تعاليم الدين الصحيح وبين الأباطيل والخرافات، كما أنه يسعى إلى التحرر من الأغلال الاستعمارية[2].

لقد كان الشيخ خير الدين يركز على المدارس والمساجد في إصلاح المجتمع، بالخطب التي كان يلقيها والاجتماعات التي كان يجريها والمدارس التي كان يبنيها في مختلف أنحاء القطر في إطار جمعية العلماء، كما أنه كان يقوم بتوعية الجزائريين بحقوقهم الوطنية والسياسية

[1] محمد خير الدين، "التعليم العربي الإسلامي بالجزائر–محاولة القضاء عليه"،جريدة البصائر ،العدد 115، 1938، ص 02.

[2] محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 68.

وقد إستلهم كل هذا بمشاركته في المؤتمر الإسلامي سنة 1936، وفي بيان الشعب الجزائري سنة 1943م، كما أسس إلى جانب شخصيات سياسية جبهة الدفاع عن الحرية وإحترامها سنة 1951م، وقد إحتوت هذه اللقاءات والمؤتمرات كل الاتجاهات السياسية رغم أن العلماء أكدوا في مبادئ الجمعية أنها غير معنية بالسياسة وليس معنى ذلك أنها غير مهتمة بالسياسة فيقول الدكتور أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد: " والإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو بالدين أو بالمجتمع ولكنه في نهاية الأمر يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة ...فالإسلام كما هو معروف دين ودولة، ولا يمكن أن نتحدث عن الإصلاح في الإسلام مجردا من معنى الدولة وهذا حتما هو عين السياسة"[1].

ويبدو أن الشيخ خير الدين لم يفصل بين الإصلاح الديني والإصلاح الوطني فقد كان يعمل إلى جانب زملائه من العلماء إلى بلوغ الهدف الثاني للجمعية بعد تكوين جيل متشبع بثقافته العربية الإسلامية الذي هو الجهاد وتحرير البلاد وفي هذا الصدد يقول الدكتور عبد الكريم بوصفصاف: " والحق أن ابن باديس لم يفصل في حركته بين النظرية والتطبيق أو بعبارة أدق، لم يفرق بين العقيدة وقد بدأ الإصلاح هينا جعل الاستعمار يظن أن لا خطر فيه، ذلك أنّه بدأ يتكلم عن الدين والأخلاق العقيدة، وضرورة الإصلاح الديني والتضحية من أجل الآخرين والشورى عند الملمات، إستعدادا لمرحلة الجهاد والكفاح"[2].

لقد كان الشيخ خير الدين مؤمنا بالعمل الإصلاحي الديني والوطني، وبرز تحركه جليا في النشاط الوطني السياسي رغم أن الجمعية لم تعلن صراحة إهتمامها بالسياسة حتى أن معظم رجالها إلتزموا بذلك، وهذا ما جعل من مترجمنا رجل دين وسياسة، ويقول في مذكراته: تبلورت فكرة الحرية والاستقلال في حرية الإصلاح الديني، والحفاظ على مقومات الشخصية

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1900- 1945)، ج 3، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 89.

[2] عبد الكريم بو صفصاف، الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس(دراسة فكرية تاريخية مقارنة)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة تونس الأولى، 1996- 1997، ص 229.

الجزائرية والسير بالنهضة الإصلاحية خطوة خطوة حتى بلوغ الغاية المنشودة، وقد تبنى هذا الاتجاه رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الإمام ابن باديس[1].

ما يمكن أن نقوله هو أن الشيخ خير الدين ناضل كباقي العلماء للمحافظة على الدين واللغة وكان من اللازم أن يدافع سياسيا عن ثقافته وشخصيته الجزائرية، ومما يؤيد رأينا ما قاله أبو القاسم سعد الله: " فعبارة العلماء تعني أولئك الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الإسلامي أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا وطنيا، وهذا التحول من وجهة نظر دينية محضة إلى التدخل السياسي قد حتّمته سياسية فرنسا نحو الثقافة والشخصية الجزائرية"[2].

كما أن كتاباته وخطبه ونشاطاته كانت هادفة، ولو أنّها لم تكن كذلك فلماذا كتب تلك المقالات القيمة والمتنوعة التي تدعو إلى فتح المدارس وتعليم أبناء الجزائر فالهدف واضح، فالشيخ خير الدين كباقي العلماء، وكل الجزائريين يرفضون المدرسة الفرنسية ويرفضون الدين المسيحي، ومعنى هذا إرحلوا عنّا فالمحافظة على الأساس شيء مهم أمام استعمار لا يعترف بأي شيء ويريد أن يمحو كل شيء، وتلك الأسس هي الدين واللغة والوطن، ويؤكد أحد تلامذة جمعية العلماء فيقول: " وقد إتفق روادها الأوائل المؤسسون لها على إخفاء البعد السياسي الثوري الذي يهدفون إليه وراء المقاصد الدينية والثقافية التي أعلنوها في قانونها الأساسي، وعملوا لها جهارا نهارا بحكمة وروية في دائرة القوانين الجاري بها العمل حينئذ، فأعمالهم تقوم أساسا على التربية والتعليم ومحاربة الآفات الاجتماعية، وعلى إحياءء قيمنا الإسلامية العربية وقد إتخذوا لذلك شعارا واضحا هادفا في ثلاث كلمات خفيفة على اللسان ثقيلة في الميزان وهي: " الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا" مما لا يصعب فهمه وإدراك مغازيه على أحد"[3] .

[1] محمد يزيد علوي، الشيخ محمد خير الدين 1902-1993/ دوره الإصلاحي ونضاله السياسي، دار خيال للنشر والترجمة، رسالة تخرج لنيل متطلبات شهادة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ص 55.

[2] مقدم رشيد، المرجع السابق، ص 343.

[3] محمد الصالح رمضان، جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي، مجلة الثقافة، العدد 83، الجزائر، 1984م، ص 360.

المطلب الثالث: دوره التربوي

بدأ الشيخ خير الدين نشاطه التربوي منذ أن عقد اجتماع الرواد سنة 1928م حيث كلفه الإمام ابن باديس بالوعظ والإرشاد بمسجد فرفار، والقرى المجاورة له، فكان يعلم أبناء المنطقة مبادئ الدين واللغة وبعدها يتوجهون نحو قسنطينة أو إلى تونس أو الجامع الأزهر لمواصلة تعليمهم في مختلف العلوم والمعارف وقد أدى هذا النشاط التعليمي إلى تنسيق العمل الإصلاحي مع جماعة من الرواد في بسكرة أمثال الشيخ الطيب العقبي، والشيخ علي بن عمارة البرجي، والشيخ محمد العيد آل خليفة، والأستاذ الأمين العمودي[1].

لقد ساهم في تكوين "جمعية الإخاء" وتأسيس مدرسة الإخاء للتربية التعليم ببسكرة سنة 1931م واقترح أن يكون مجلس الإدارة من أعضاء لهم علاقة بالسلطة الفرنسية كي لا تقوم بعرقلتها، فقد عين خير الدين ككاتب عام فقط وهذا لضمان السير الحسن للمدرسة ونشر الثقافة العربية الإسلامية. ومن النشاطات التي قام بها الشيخ خير الدين في بسكرة توحيد صلاة العيدين التي كانت تؤدي في عدد من المساجد الموزعة بين المدينة القديمة والجديدة فأصبحت تقام لجميع المصلين ببطحاء المدينة القديمة وقد وقع اختيار الشيخ خير الدين إماما لصلاة العيدين لمدة أربع سنوات[2].

لقد انطلق شيخنا في عمله الإصلاحي من فرفار ثم بسكرة وكان يؤمن إيمانا راسخا بدور التربية والتعليم في الحفاظ على كيان وتراث الأمة، خاصة أن منطقة الجنوب كانت تعاني من نشاط المرابطين، وحسب شارل أندري جوليان فإن تقديرات سنة 1939 م أحصت 400 ألف منخرط في الزوايا، نصفهم بأراضي الجنوب وقد وضعت الحكومة يدها عليها، وعندما أرست الحركة الإصلاحية أسسها ببسكرة وضواحيها، كان العلماء الآخرون ينشطون في مناطق أخرى من الوطن و أصبح العمل أكثر تنظيما بعدما وزع الإمام ابن باديس المهام على رجال الجمعية وفق مبادئها وأهدافها[3].

ويبدو أن الجمعية كانت مهتمة بالتعليم العربي والديني، لأن التعليم العربي الحر كان محصورا في دائرة ضيقة بالنظر إلى أساليبه وكتبه، ولذلك فقد قامت الجمعية بجهود كبيرة لتوسيع ذلك التعليم عن

---

[1] أسعد لهلالي، سلوى لهلالي، دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائرين في مجال التعليم والصحافة- الشيخ محمد خير الدين نموذجا-، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، المجلد 06، العدد 02، 2012، ص 140.

[2] محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص ص 79- 82.

[3] أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 72.

طريق إنشاء مكاتب حرة للتعليم المكتبي للصغار، وتنظيم دروس في الوعظ والإرشاد الديني في مساجد وتنظيم محاضرات في النوادي غايتها التهذيب وشؤون الحياة العامة[1].

والحق أن نشاط الشيخ خير الدين كان ينبع من صميم القلب، ومن جروح ومعاناة أبناء أمته، وفي إطار أهداف الجمعية ونشاطاتها تم تأسيس جمعية خيرية لإعانة الفقراء والمساكين وتعليم البنين والبنات، مقرها بسكرة كان رئيسها أصيمدة عبد القادر، أما نائبه فهو الشيخ خير الدين وقد تعمد أن لا يكون الرئيس لتفادي الصدام مع السلطة الفرنسية، وكي تصادق على قانون الجمعية وهو ما تم فعلا، كما أن تنقلات الشيخ في بسكرة وضواحيها لم تتوقف خاصة إذا تعلق الأمر بوفد لجمعية العلماء وعلى رأسها الإمام ابن باديس، ففي جانفي1938 م[2]، زار وفد الجمعية قرية القنطرة في ضواحي بسكرة، وكان الوفد يتكون من الإمام الرئيس والشيخ مبارك الميلي، الشيخ العربي التبسي، إضافة إلى أنه خطب بالناس وعرف بالجمعية وعلمائها ومبادئها وأهدافها، بعد انتهاء الوفد من إلقاء خطابه[3].

لقد استمر نشاط الشيخ خير الدين مع وفد الجمعية في الجنوب، فقد زار الوفد وادي سوف وطولقة، ومنها إلى بلدة سيدي عقبة وذلك في سبيل التعريف بالجمعية وتنشيط الحركة الإصلاحية والتأكيد على أنها ليست خاصة بالشمال فقط، بل هي شاملة للقطر الجزائري، وأن الجنوب من إهتمامات الجمعية، مما أدى إلى تحرك خصوم الجمعية من مرابطين ورجال الزوايا محاولين منع العلماء من أداء رسالتهم الإصلاحية التي كان من بين أهدافها محاربة هؤلاء الخصوم الذين كانوا يعيشون في جمود وبعيدين عن واقع الأمة ومعاناتها، كما أصبحوا أداة في يد السلطة الفرنسية[4].

كما أن السلطة الفرنسية تفطنت إلى خطر العلماء، لأن أصحاب الزوايا والمرابطين كان لهم دور في تحذير الإدارة الفرنسية بما أن مكانتهم أصبحت في خطر لذلك حاربت مدارس الجمعية ونواديها وحتى المساجد، فقد قامت بغلق المدرسة الحرة "دار الحديث" بتلمسان بتاريخ 31 ديسمبر 1937م وأعلن ذلك الأجراء رسميا يوم 4 جانفي 1938م، هذا الإغلاق أحدث انفعالا كبيرا،

[1] البشير الابراهيمي، سجل جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي، الجزائر، دار الكتب، الجزائر، 1982، ص 176.

[2] جريدة البصائر، مقال " الجمعية الخيرية الاسلامية"، العدد 4، 1936، ص 7.

[3] عبد اللطيف بن علي، " وفد جمعية العلماء يزور القنطرة"، جريدة البصائر، العدد 95، 1938، ص 5.

[4] أبو القاسم سعد الله،الحركة الوطنية الجزائرية،ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص 95.

وهلل له أعداء الشيخ البشير الإبراهيمي وأعداء الجمعية، حتى أن الجرائد في ذلك الوقت عندما أعلنت الخبر ذكرت اسم المكتب الخاص ولم تذكر المدرسة الحرة"دار الحديث"[1].

لقد ركزت السلطة الفرنسية على المدارس لكي تقيد نشاط العلماء، فأصدر وزير الداخلية "شوتان "قرارا رسميا في 8 مارس 1938 م يمنع تعليم اللغة العربية في الجزائر ومما جاء في ذلك القرار: إن اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية، وما كان لهذا القرار إلا أن زاد الشيخ خير الدين وزملاءه في الجمعية إصرارا على مواصلة جهودهم التربوية،وبناء على إحصاء عامل عمالة قسنطينة في سنة 1938 م، فعدد مدارس الجمعية في عمالة قسنطينة 85 مدرسة تضم 4047 تلميذا مسجلا، ويسيرها معلمون مصلحون، أما في عمالة الجزائر فبلغ عدد مدارسها عام 1938 م 68 مدرسة تضم 9063 تلميذا[2].

والحق أن مرسوم الثامن مارس المشؤوم قد عرقل التعليم العربي، كما أن ظروف الحرب العالمية الثانية قد أثرت في نشاط الجمعية التي أوقفت نشاطاتها كي لا تستغلها فرنسا في خدمة مصالحها، وعودة التعليم جاء بعد نهاية الحرب العالمية الثانية حيث خطت الجمعية خطوة كبيرة بإنشائها لأعظم معهد ثانوي في تاريخها وهو معهد عبد الحميد بن باديس سنة 1947 م[3].

ويقول الشيخ خير الدين في ذلك: "وهنا تبلورت فكرة إنشاء معهد ابن باديس، في قسنطينة ولم يكن من الممكن أن نعود إلى التعليم بالجامع الأخضر لأنه لم يكن لدينا رخصة للتعليم فيه كالتي كانت للإمام ابن باديس، فجمعنا التبرعات واشترينا دارا كبيرة كانت ملك أحد أفراد" إبن الفقون"، وأثثنا هذه الدار وجهزناها بالطاولات والمقاعد والبسط، ووضعنا البرامج وعينا المدرسين الأكفاء، وتولى إدارة المعهد الشيخ العربي التبسي تساعده لجنة من الأساتذة"[4]، وقد عين الشيخ العربي التبسي مديرا للمعهد أما النائب فكان الشيخ خير الدين، وقد حقق المعهد نجاحا كبيرا مما أجبر الجمعية على توسيع المكان والدخول إلى الجامع الأخضر، والجامع الكبير الممنوع التدريس فيها وفق قرار منع المساجد على الجمعية الذي صدر في 27 فيفري1933 م، لقد حاولت السلطة الفرنسية أن تقضي

[1] يسعد لهلالي، سلوى لهلالي، المرجع السابق، ص 142.

[2] عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الاخرى، دراسة تاريخية وأيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، 1996، ص ص 137- 138.

[3] يسعد لهلالي، سلوى لهلالي، المرجع السابق، ص 142.

[4] محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 170.

على المدارس الحرة وأن تجذب أبناء الجزائريين للتعليم في مدارسها، حيث نص الفصل 57 من قانون الجزائر الصادر سنة 1947م على اعتبار اللغة العربية إحدى لغات الإتحاد الفرنسي كما أنها تدرس في مختلف مراحل التعليم، غير أن هذا النص لم يدخل حيز التنفيذ إلا في سنة 1954 م. ولم يكن الشيخ خير الدين من الذين يضعون السلاح جانبا ويستسلمون للعدو، بل بالعكس فقد واصل نشاطه التربوي، حيث قام برحلة علمية في ربيع 1948 م إلى عمالة وهران ودشن بها المدارس ونظم الشعب وألقى دروس الوعظ والإرشاد، وفي غليزان كان قد أستقبل بحماس كبير وقد كتبت جريدة البصائر: "وما دقت الساعة الثانية حتى وقف القطار السريع يحمل إلينا شخصية بارزة من رجال العلماء الذين قاوموا الجهل والاستعباد، والبدع والضلال مدى عشرين عاما منذ تأسيس جمعية العلماء، مع المرحوم الأستاذ عبد الحميد بن باديس ومع خلفائه من بعده، فالشيخ خير الدين رجل مضح بنفسه وبنفيسه، و ما من مشروع خيري للصالح العام إلا ويؤيده ويمده وينصره..."[1].

وبعد عودته إلى بسكرة رأى أن حركة التعليم تسير بشكل سريع وتعرف إقبالا كبيرا مما صعب على مدرسة التربية والتعليم، استقبال كل التلاميذ لذلك قرر الشيخ خير الدين مع الأعضاء إنشاء مدرسة جديدة، فشرع في البناء بنشاط مكثف وكانت المرحلة الأخيرة قد بدأت في 18 ديسمبر 1949م عندما حل الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية بدعوة من الجمعية المحلية وتم توجيه الدعوة إلى سكان بسكرة والزيبان ومن مختلف أنحاء القطر، فحضر الحفل العلماء والنواب والأطباء والمحامون، وتم افتتاح المدرسة، وألقى الرئيس خطابا بليغا كعادته، ثم جاء دور الشيخ خير الدين فألهب الجمهور بكلمات بين العامية والفصحى ومما قاله: " إنكم ستسمعون مني كلمات ليست من باب الحمد والشكر ولكنها من باب الحث والإزعاج، وسأصل بها مبدأ هذا العمل بنهايته فقد بدأناه مجتمعين... وما دمنا في موقف استنهاض الهمم وشد العزائم وما دمت عارفا بأسرار لغتي وتاريخ أجدادي، فإنني أؤثر أن يكون افتتاح هذا الحفل التاريخي بالشعر ...فأنا أريد أن أرجع بكم إلى ذلك الماضي الجليل، ولئن قال لنا أقوام: إنكم تعيشون في الماضي القديم، قلنا إننا نعيش بالاستمداد من الماضي والعمل للحاضر والاستعداد للمستقبل..."[2].

[1] فرحات العابد، الشيخ محمد خير الدين في غليزان، جريدة البصائر، العدد36، 1948، ص 07.

[2] الحفناوي هالي، وصف الاحتفال الرائع بفتح مدرسة بسكرة، جريدة البصائر،العدد 140- 141، 5 فيفري 1951، ص ص 6_7، أنظر جريدة الشعلة: مقال "بسكرة تحتفل بوضع الحجر الأساسي لمدرستها"، العدد 19، افريل 1950 م، ص 2.

وهكذا توالى فتح المدارس وبناء المساجد في شتى أنحاء القطر، ففي مدينة سطيف وفي يوم 8 أكتوبر 1950 م، تم تدشين مدرسة الفتح الجديدة، وحضر حفل التدشين الشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ العربي التبسي والشيخ خير الدين والأستاذ فرحات عباس وكان حاضرا أيضا أحد علماء فأس الشيخ إبراهيم الكتاني، إضافة إلى أساتذة ومديرين آخرين من داخل البلدة وخارجها، كما كان للشيخ تنقلات إلى مناطق أخرى، ففي عام 1948م زار بلدة ندرومة، رفقة الشيخ السعيد الزموشي، وكانت هذه البلدة عامرة بالزوايا حيث كان بها سبع زوايا، ولم تنشأ بها شعبة لجمعية العلماء، ولم تفتح بها أية مدرسة لتعليم القرآن واللغة العربية، واقترح الشيخ خير الدين بناء مسجد كبير وتعيين إمام لأداء الصلوات وإلقاء دروس الوعظ والإرشاد، وتم بناء المسجد وانتشرت الحركة الإصلاحية فيها بشكل سريع، ثم زار الشيخان بلدة بريقو، وأسسا بها شعبة وألقى الشيخ خير الدين حاضرة في المسجد إلى جانب محاضرة سعيد الزموشي بين من خلالها مقاصد الجمعية وأعمالها وآمالها[1].

وقد زار الشيخ خير الدين بلدة شاطودان، في السابع من أفريل سنة 1954 م وقام بتجديد هيئة المدرسة والشعبة ،وقدم التقرير المالي للجمعية وتم انتخاب الهيئة الجديدة بإعادة تجديد الثقة فيها، كما حل الشيخ ببلدة سوق أهراس في صيف 1954 م وقام بوضع حجر الأساس لبناء المدرسة الجديدة، وقد أقبل سكانها على البناء و الترميم فرحا بالمشروع العظيم[2].

وفي خريف 1954 تنقل الشيخ خير الدين إلى أقصى الغرب الجزائري إلى بلدة بني صاف، حيث إفتتح بها "مسجد بني صاف " ومما قاله الشيخ في خطبة الافتتاح: " إن فتح المساجد معناه إحياء أمة وميثاق مع الله على العمل لنشر الدين الصحيح التعاليم والنقية في هذا الوطن...، أيها الإخوان إن الإنسان في هذه الحياة يحيا ثم يموت ثم لا يرجع إلا بعد أن يقف بين يدي الله، والأمم كذلك ولكن الأمة لا تقبر بل تموت موتا معنويا وحياتها لا بروح تدخل وتخرج إنما تحيا بالحياة الحقة وما الحياة الحقة إلا العزة والكرامة والقوة..."[3].

[1] السعيد الزموشي، " وفد جمعية العلماء في بريقو، جريدة البصائر، العدد 43، 1948م، ص 02.

[2] محمد مسلاتي، آثار النهضة الاصلاحية بسوق أهراس، جريدة البصائر، العدد 283، 1954، ص 07.

[3] محمد منيع، "إفتتاح مسجد بني مصاف وخطاب الشيخ خير الدين "،جريدة البصائر ،العدد283، 1954، ص 07.

التي عينها الإمام ابن باديس عام 1933 م للوعظ في شهر رمضان، فكان ضمن قائمة وعاظ مدينة قسنطينة بالجامع الكبير، ثم عين في الوفد الأول من بين ثلاثة وفود كبيرة إلى جانب الإمام ابن باديس والشيخ مبارك الميلي حيث ركزوا نشاطهم بالشرق الجزائري[1].

وهكذا كان الشيخ خير الدين يقوم بالوعظ في كل شهر رمضان، ففي شهر ماي 1951م عين ببلدة العلمة، ثم عين بقسنطينة في ماي 1952 م، وتنقل بين مساجدها باعتباره النائب الثاني لرئيس الجمعية، ثم عين بالجامع الكبير بقسنطينة في أفريل 1954م[2]، كما تم تعيين شيوخ وأساتذة الجمعية في جميع مساجد القطر للوعظ والإرشاد والدعوة للتمسك بالدين واللغة وكانت أسماء الشيوخ والمناطق التي عينوا فيها تنشر في جريدة البصائر، كان حريصا على مدارس الجمعية دؤوب الحركة، فكان يشرف على نشر الإعلانات الخاصة بأعظم معهد ثانوي شيدته الجمعية "معهد ابن باديس"، وما يخص شروط قبول التلاميذ وضمان الالتحاق العادي والحسن بالمعهد، كما أن هذه الإعلانات التي تنشر في البصائر تساعد التلاميذ الجدد الراغبين في الالتحاق للدراسة بالمعهد بتحضير الوثائق اللازمة والشروط الأخرى التي تدون مع الإعلان، وبعد أربع سنوات من مسيرة المعهد، أصبح الشيخ خير الدين مديرا للمعهد نظرا للظروف الصحية التي كان يعاني منها الشيخ العربي التبسي لذلك طلب الاستعفاء من مهمته، كما أن الشيخ البشير الإبراهيمي طلب منه تولي المهمة، كونه نائب المدير[3].

وكانت لجان الامتحانات تقوم بدور كبير لتعين الناجحين بعد الامتحان، وكان يشرف على اللجان الشيخ العربي التبسي والشيخ خير الدين ويشاركهم الإمام البشير الإبراهيمي في التنظيم[4].

ونورد إحدى خطابات الشيخ خير الدين في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد[5]: "فإن العلم أشرف المطالب وأسمى المقاصد والرغائب فهو حياة الأمم وهو عزها ومجدها... لقد فهم أسلافنا العظام هذه الحقائق فأقبلوا على العلم بجميع فنونه وتهافتوا على مناهله العذبة يكرعون منها

[1] محمد خير الدين، مذكرات ، ج 1، المصدر السابق، ص ص 221-226.

[2] جريدة البصائر، قائمة الوعاظ لشهر رمضان، العدد 269، 1954، ص 03.

[3] محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، المصدر السابق، ص 170.

[4] جريدة البصائر، مقال معهد عبد الحميد بن باديس، العدد 158، 1951، ص 02.

[5] جريدة البصائر، مقال "خطاب فضيلة الأستاذ محمد خير الدين في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد"، العدد 281، 1954، ص 01.

فسادوا في الدنيا و قادوا الأمم وفتحوا – مع البلدان –القلوب والعقول ورفعوا مشعل الحضارة والمدنية...".

لقد كان الشيخ خير الدين حريصا على تلقين أبناء وطنه مختلف العلوم لأنه كان يعرف قيمة العلم في بناء الحضارات ،لذلك لم يقتصر حرصه على تلاميذ المعهد والمدارس داخل الوطن بل امتد حرصه إلى خارج الوطن، ففي جامع الزيتونة كان الشيخ يقوم بزيارات مستمرة ليتفقد طلبة الجزائر وكان يلقي عليهم خطبا متنوعة، رغم أنه كان يتعرض في بعض الأحيان للمضايقات من بعض الطلبة كتلك التي تعرض لها في صيف 1948م ، لكن رغم ذلك كان يعي ما يحدث ويعرف أن هناك محاولة للنيل من الجمعية وسمعتها، لكن الطلبة استنكروا تلك الأفعال وأعلنوا تقديرهم واحترامهم لشيخهم وولاءهم لجمعية العلماء[1].

يمكن القول أن الشيخ خير الدين كان يخوض تنقلاته ويقوم بدوره التربوي بكل شجاعة من الشرق إلى الغرب، ومن الشمال إلى الجنوب تاركا وراءه تلك الخطب البليغة الحماسية المثيرة للنفوس وخلفه تلك القلاع الحصينة من مدارس ومساجد، التي وبدون شك قد منعت الاستعمار الفرنسي من تسلق أسوارها العالية المحصنة بالدين الإسلامي واللغة العربية، ووراءها جند من أبناء الجزائر، وبتلك الإنجازات التربوية التي قام بها شيخنا إلى جانب أقرانه العلماء، حافظت الجمعية على مقومات الشخصية الوطنية[2].

المطلب الرابع: نشاطه الصحفي

لقد كانت الصحافة من أهم الوسائل التي اعتمدتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في نشاطها الإصلاحي، وقد استعملتها أحزاب أخرى كحزب البيان والحزب الشيوعي وحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله فإن عبارة" الصحافة الوطنية"في العهد الاستعماري تعني الصحافة المعبرة عن الاتجاهات الوطنية سواء منها المتطرفة أو المعتدلة وسواء كانت باللغة العربية أو الفرنسية[3].

وقد ظهرت الصحافة الوطنية الجزائرية في بداية القرن العشرين ضعيفة الإخراج، ركيكة الأسلوب، لكنها اهتمت بالقضايا الوطنية، فكانت صحافة نضال مستمر ضد الفساد والاضطهاد

[1] جريدة البصائر، مقال "الشيخ خير الدين في تونس، استنكار وتبرؤ"، العدد 41، 1948، ص 03.

[2] أسعد لهلالي، المرجع السابق، ص 80.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر،ج 3، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1990م، 87.

وضد نظام الاندجينا[1]، رغم أن مستوى الكتابة كان متخلفا بشكل عام ومليئا بالأخطاء في اللغة والأسلوب، ولم تسلم من ذلك إلا صحافة جمعية العلماء التي كانت صحافتها أكثر دقة وعناية من ناحية الأسلوب واللغة[2].

وفيما يخص الصحافة الإصلاحية لجمعية العلماء فبالإضافة إلى استعمال العلماء للمدارس للحفاظ على اللغة العربية، وتخريج العلماء والمثقفين، والمساجد للوعظ والإرشاد، فالصحافة هيأت الأرضية المناسبة للمصلحين لإقناع المجتمع بالتغيير وقبوله والابتعاد عن الخرافات والأباطيل والدفاع عن الدين واللغة والوطن، لذلك برز معظم قادة الجمعية بكتاباتهم التي كانت جرائد وصحف الجمعية فضاء لها، وقد نشط الشيخ محمد خير الدين كباقي الكتاب المصلحين بدعمه وتأييده للصحافة الإصلاحية وكانت البداية بمشاركته في شراء مطبعة بهدف إصدار جريدة "الإصلاح" ببسكرة[3].

وبفضل مساهمة الشيخ خير الدين والشيخ محمد العيد والأمين العمودي ثم شراء تلك المطبعة القديمة من قسنطينة والتي سماها "المطبعة العلمية"، التي واصلت مسيرتها في نشر المقالات الدينية والاجتماعية ومع ظهور صحافة الجمعية وتطورها بعد سنة 1931م، نشطت أكثر الصحافة الإصلاحية رغم تعطيل السلطة الفرنسية لبعض الصحف سنة 1933 م، وهي السنة النبوية، الشريعة، الصراط السوي أما مجلة الشهاب فقد استمرت إلى غاية 1939 م والتي كان الشيخ خير الدين أحد كتابها كما شقت جريدة البصائر نفس الطريق وهي أيضا من أهم جرائد الجمعية التي بقيت لمدة طويلة وصدرت في سلسلتين: السلسلة الأولى تمتد ما بين 1935 إلى 1939 وكان الشيخ خير الدين صاحب الامتياز فيها ورئيس تحريرها الشيخ العقبي، أما السلسلة الثانية فصدرت ما بين 1947-1956م وكان الشيخ البشير الإبراهيمي صاحب الامتياز فيها ورئيس تحريرها[4].

وفيما يخص المقالات التي كتبها في الشهاب أو البصائر فهي تعالج مواضيع تدخل في إطار الحركة الإصلاحية، وضمن أهداف جمعية العلماء، وهي تدور حول التعليم العربي الإسلامي و التعليم الرسمي، حرية المساجد، وقضية فصل الدين عن الدولة، كما أنه كتب حول الزوايا وهاجمها بقوة،

[1] الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985، ص ص 94- 95.

[2] عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر (1954- 1962)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص 33.

[3] محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1981م، ص 112.

[4] يسعد لهلالي، سلوى لهلالي، دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال التعليم والصحافة- الشيخ محمد خير الدين نموذجا-، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، المجلد 06، العدد 02، 2012، ص 150.

بالإضافة إلى مقالات كان يدافع فيها عن الجمعية ويرد على الخصوم الذين كانوا يهاجمون المصلحين[1].

وإذا تتبعنا كتابات الشيخ خير الدين لوجدنا أنها تصب في اتجاهات كثيرة ولم تقتصر على الإصلاح الديني فقط وفي هذا يقول الدكتور عبد الكريم بوصفصاف: "والحق أن دور صحافة الجمعية لم يقتصر على نشر الإصلاح الديني فحسب بل كان من بين أهدافها الأساسية محاربة الطرق، الصوفية والإدارة الاستعمارية والعمل على إحياء الشخصية الجزائرية وربطها بالوطن العربي الإسلامي، إبراز معالم التاريخ الوطني من أقدم العصور حتى أيامها كما كانت تقوم بدور المعلم والمرشد والمربي، بما تنشره من دروس وتوجيهات تربوية بين المسلمين الجزائريين"[2].

ومن هنا كان دفاع الشيخ خير الدين عن التعليم العربي الإسلامي قويا هجومه ضد الطرقيين أقوي، ومن بين ما كتبه حول الزوايا: "إنني أعلن صراحة أن هذه الزوايا لم تفعل في سبيل الإسلام شيئا يذكر فيشكر، وإن فعلت فهو شيء طفيف لا يساوي فتيلا بالنسبة لما أخذته من المسلمين من أموال ومما تمتعت به من الحظوة والتقدير الذي لا حد له". أما رد الطرقيين فكان بواسطة كاتب مجهول بعبارات السب والشتم من جهة وتمجيد الزوايا من جهة ثانية، فكتب: " لم يكن في الحسبان أن نخصص وقتا من أوقاتي العامرة لمنازلة الكويتب الجبان وأن أسدد سهام انتقاداتي الصائبة نحو قلبه النجس، لولا أنه شوه وجه الحقيقة وصور القضية في غير صورتها وألبسها غير حلتها وجاء شيئا فريا، فأخذ ينعت الزوايا ورؤسائها ومريديها المعتكفين فيها إلى العبادة والأذكار والتعاليم بنعوت لا تتفق مع الكرامة... وليس على خير الدين بعد الخطأ! فهو المذبذب الذي لا غاية له ولا مبدأ ولا ثبات إلا الجري وراء مصلحته الخصوصية ..."[3].

وهكذا استمر الصراع بين العلماء والطرقيين، فالاستعمار الفرنسي يقوم باضطهاد المدارس الحرة ويحرم أبناء الجزائريين من حقهم في التعليم، وإن توفر لهم ذلك فإنهم حتما سيدرسون اللغة الفرنسية

[1] أسعد لهلالي، المرجع السابق، ص 82.

[2] عبد الكريم بو صفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص ص 142- 143.

[3] محمد خير الدين، "للحقيقة و التاريخ في الزوايا"، جريدة البصائر، العدد124، 29 جويلية 1938 م، ص ص 2- 3.

وعلومها و آدابها ،فأين هو إزدهار اللغة العربية؟ وما فعله الأولون في الزوايا لا ينكره أحد لكن دور معظم الزوايا في ظل الاستعمار كان التقوقع والجمود[1].

لقد كان الشيخ خير الدين مهتما بحالة التعليم العربي الإسلامي الذي هو رمز من رموز الأمة فإذا ما انقرض انقرضت معه الأمة وأصبح كيانها في خطر، لذلك لم يقتصر نشاطه على تدشين المدارس وفتح بيوت الله عبر أنحاء القطر بل استمر ذلك النشاط في جرائد جمعية العلماء فكتب مقالات نوهت بأهمية التعليم في الحياة ودعت الجزائريين إلى الدفاع عن لغتهم ودينهم، ومن بين ما كتب: "في هذا العصر شاع فيه العلم بين سائر الأمم وأصبح حقا طبيعيا لكل إنسان كيفما كان جنسه و لونه أن يطالب بنصيبه في العلم لتكمل بذلك إنسانيته وتتهذب طباعه فيؤدي ووظيفته في هذه الحياة كعضو نافع غير ضار... في هذا العصر الذي يسمونه عصر الثورة و المدنية...توصد المدارس الأهلية الدينية... ونعلن لكافة المعلمين والجمعيات الدينية أن يدافعوا لدى المحاكم الابتدائية والمحاكم العليا عن حقهم الذي خوله لهم القانون حين يرجع الحق إلى نصابه..."[2].

ومن بين الصراعات الأخرى في مقالات الشيخ خير الدين تلك التي كان يرد من خلالها على السعيد الزاهري الذي كان ضمن أعضاء الجمعية ثم انسحب منها، وأنشأ عدة جرائد، وقد كان الزاهري كثير الاتهام له، ومن بين تلك الاتهامات أن الشيخ خير الدين هدد بائع جريدة الوفاق في بسكرة بينما الشيخ خير الدين يتهمه بالوشاية للسلطة الفرنسية، وقد ورد في إحدى مقالاته: "إن حديثنا في كل ما نكتب هو مع فرنسا... في سبيل تعلم ديننا ولغة ديننا من بعض النواحي الإدارية المتأثرة على الغالب بالوشايات الباطلة التي تضر بالجميع... لكن صاحب الوفاق-التملاق-وهو من أولئك الوشاة المفضوحين حال في عدده الأخير أن يصرف كلامنا إلى ناحية أخرى وحديث عن دولة أجنبية..."[3].

وفيما يخص الاتهام الذي ألصقه السعيد الزاهري بالشيخ خير الدين فقد أجاب عنه أحد الكتاب في تلك الفترة بقوله: " كتبت جريدة الوفاق عدد (في منبر الأحرار) تحت عنوان التهديد والوعيد يقول كاتبها: جاءنا من بسكرة أن الشيخ خير الدين هدد وواعد بائع الوفاق ببسكرة بالأذى إذا استمر على بيع الوفاق وقال له...هكذا يقول الشيخ الزاهري في جريدته الوفاق، وأنا

[1] يسعد لهلالي، سلوى لهلالي، المرجع السابق، ص ص 151، 152.

[2] محمد خير الدين، "التعليم العربي الإسلامي بالجزائر"، جريدة البصائر، العدد 115، 27ماي 1938 م، ص 02.

[3] محمد خير الدين، "الوفاق يتملق"، جريدة البصائر، العدد 122، 15جويلية 1938 م، ص3 .

أقول له أتعجب كثيرا من رجل عالم كسيادة الشيخ الزاهري يتهم الأبرياء بقول الزور ويلبسهم بلباسا ليسوا من أهله...وها أنا أقول لك أرسل جريدتك للكويتب الذي أخبرك، فهو يبيعها لك وأرح نفسك من الشغب والمشاغبة ولا تتهم رجال الإصلاح بما ليس فيهم..."[1].

لقد كانت المقالات التي كتبها الشيخ خير الدين متنوعة وفي اتجاهات مختلفة لكنها لم تخرج عن إطار مبادئ وأهداف الجمعية، كما أنها تمتاز بالقصر والدلالة، أما القصر فلأنه كان كثير التنقل في أنحاء القطر ليتفقد المدارس والمساجد وحل بعض المشاكل التي تصادف الجمعية باعتباره مراقبا عاما للجمعية لذلك كان يقتطع بعضا من وقته للكتابة، أما الدلالة فتخص المواضيع التي كان يتناولها فهي واضحة في أفكارها وعباراتها ليس فيها تلميح أو ترميز بل كانت مباشرة ،والمقالات التي كتبها عموما كانت عناصرها بارزة واضحة الأهداف، وكما ذكرنا سابقا فإن الشيخ خير الدين علاوة على المقالات التي كان يكتبها في جرائد و صحف الجمعية فإن معظم البلاغات التي كانت تنشرها جريدة البصائر كانت تحمل توقيعه تتضمن ما يخص بلاغات لجنة التعليم، أو ما يقره المكتب الدائم للجمعية وبلاغات تخص شؤونا أخرى وكانت تحمل توقيعه باعتباره النائب الثاني لرئيس الجمعية ونائب مدير معهد ابن باديس ورئيس لجنة التعليم[2].

والحق أن صحافة الجمعية قد عانت الكثير خاصة في فترة الحرب العالمية الثانية (1939-1945) حيث أصيبت بشلل تام بسبب تجميد نشاطها السياسي وفق المرسوم الذي صدر بتاريخ 27أوت 1939 م القاضي بمصادرة جميع الجرائد التي تتعرض إلى قضايا الأمن الوطني[3]، كما أن الركود في حركة الصحف مرده أسباب أخرى حسب الدكتور عبد الكريم بوصفصاف حيث يقول: "وقد يعود هذا الركود في حركة الصحف إلى أسباب الحرب ذلك أن قادة الجمعية قد اختاروا السكوت والحياد الايجابي لأن فرنسا كانت في حاجة إلى تأييد العلماء في حربها مع الألمان حتى تظهر للعالم أن شعوب المستعمرات الخاضعة لها تساندها ماديا ومعنويا، وهذا ما كان ابن باديس

[1] الأخضر بوزيدي، "تكذيب ورد إفتراء"، جريدة البصائر، العدد 123، 22 جويلية 1938 م، ص8 .

[2] يسعد لهلالي، سلوى لهلالي، المرجع السابق، ص 154.

[3] عمار بو حوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962م، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1997م، ص 264.

والأغلبية الساحقة من أعضاء المجلس الإداري للجمعية قد رفضوه في اجتماع 1938 م حيث أعلن ابن باديس بأنه لن يوافق على إرسال برقية التأييد إلى الحكومة ولو قطعت رأسه"[1].

ورغم القرارات التي كانت تصدرها السلطة الفرنسية إلا أن نشاط الصحافة الإصلاحية استمر بعد الحرب العالمية الثانية وانطلقت جريدة البصائر في سلسلتها الثانية منذ 1947 م، وواصل الشيخ خير الدين نضاله الصحفي كباقي زملائه المصلحين في الجمعية بإتباع نهج الإمام ابن باديس إلى أن توقف نشاط الجمعية نهائيا سنة 1956 م والتحق أعضاؤها بالثورة التحريرية بعد أن تبلور الهدف الذي لطالما تمناه الجزائريون وأعدت له جمعية العلماء صفوفا من جنودها بعد أن دربتهم على الدفاع عن دينهم ولغتهم ليأتي الهدف الأخير، وهو تحرير الوطن[2].

[1] عبد الكريم بو صفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، المرجع السابق، ص 143.

[2] أسعد لهلالي، المرجع السابق، ص 87.

الخاتمة

نحمد الله الذي أنعم علينا بإتمام هذه الدراسة، ونشكره جزيل الشكر على فضله وعطائه لوصولنا لهذا الدرب أما بعد:

ونفي نهاية هذه الدراسة التي تطرقنا فيها إلى الشيخ محمد خير الدين ومجهوده الاصلاحي، فقد توصلنا في هذه الدراسة إلى عدة نتائج لعل من أهمها:

1. إننا بتتبعنا لمسيرة الشيخ محمد خير الدين وجدنا أنفسنا أمام أحد أقطاب العلم وركائز الإصلاح في الجزائر إلى جانب رفقائه الذين رفعوا لواء الإصلاح الشامل في حركة تجديدية لم يسبق وأن عرفها القطر الجزائري من قبل، ويكمن الجانب التجديدي الذي قام به هؤلاء العلماء أنهم اقتحموا مجال الإصلاح عبر عمل جماعي وهذا الأمر لم يسبقهم إليه أحد، من هنا يمكن القول أن الشيخ محمد خير الدين كان من المجددين في هذا المجال ضمن جمعية العلماء المسلمين، فأحدثوا هزة عنيفة للمجتمع الجزائري رغم الأوضاع التي ألحقها الاستعمار به ورغم بشاعة الاحتلال، كما تبين لنا من كل ما سبق أن العامل الديني بكل ما في هذه الكلمة من معنى والذي عمل بدوره مع أقرانه من العلماء على إحيائه في نفوس الجزائريين، كان بمثابة المحرك الرئيسي الذي تحول إلى جهاز رفض ومقاومة فعالة ضد جميع سياسات الاحتلال في فترة من أدق فترات تاريخ هذا الوطن، وهذا إن دل على شيء فإن ما يدول على أن جميع محاولات المسخ والتذويب انكسرت على درع الإسلام الواقي بفضل ما احتوى عليه من تعاليم كان الفضل في نشرها لثلة من العلماء أحدهم الشيخ محمد خير الدين.

2. كما أن الشيخ سلك ميدان الإصلاح عبر جناحين، جناح الإصلاح في المجال الديني والتربوي مستهدفا الإنسان في إصلاح عقيدته ولغته وأخلاقه، من خلال دروس الوعظ والإرشاد وتدشين المدارس وتشييد المساجد، وجناح السياسة التي لم تكن ضمن قانون الجمعية الأساسي ولكن رغم ذلك فقد كان الشيخ محمد خير الدين إلى جانب علمه يتميز بحسه السياسي، لذلك وجدناه حاضرا في كل الأنشطة السياسية التي كانت تقوم بها القوى والأحزاب السياسية آنذاك بدءا بالمؤتمر الإسلامي التجمع الأكبر والأول في تاريخ الجزائر، فقد كان مترجمنا أحد أعضاء اللجنة التنفيذية فيه، ووصولا إلى مشاركته في آخر تجمع سياسي المتمثل في الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، فالبعد السياسي كان حاضرا لديه.

3. أن الحركية والنشاط اللذان كان يتمتع بهما الشيخ والتنقلات التي يقوم بها عبر طول البلاد وعرضها أكسبته معرفة بطبائع الأشخاص والمناطق ما جعل الشيخ عبد الحميد باديس يعول عليه في المهمات المستعصية نظرا لما كان يتمتع به من حنكة سياسية وذكاء قلما يجتمعان في شخص واحد.

4. أن محاولات التقليل من دور جمعية العلماء في ثورة التحرير يعد مجانبا للصواب وإجحافا في حقها بالنظر إلى قوافل الشهداء والمجاهدين الذين تكونوا في مدارسها والأمثلة لا تحصى ولا تعد في ذلك، غير أن ما صدر من الشيخ محمد خير الدين في العام الأول من الثورة وعدم مباركته لها، فلا بد أن ننظر لهذا الموقف في نطاق تلك الظروف، فقد تم التحضير للثورة في سرية تامة، كما كانت الطبقة السياسية بمختلف توجهاتها تجهل من وراء أحداث أول نوفمبر 1954، إضافة إلى الاختلاف الإيديولوجي بين القوى السياسية الوطنية وعدم توافقها في جميع المبادئ، كما أن التواصل بين الساسة والإدارة الفرنسية كان مستمرا قبل الثورة، هذه المعطيات تجعلنا ننظر إلى تلك المحادثات مع الحاكم العام سوستيل والتي شارك فيها الشيخ محمد خير الدين، طبيعية، ومن هنا فإن الأحكام التي أصدرتها قيادة الثورة وهي الإعدام، كانت متسرعة وقاسية، لم يراعى فيها ماضي الشيخ وما قدمه من تضحيات في سبيل الوطن، لكن لما تأكد هؤلاء جميعا بأن الثورة وراءها رجال صادقون، لبوا نداء الواجب والتحقوا بصفوف الثورة وتأكد قادة الثورة أن محمد خير الدين شخصية لها أهمية كبرى فعينوه ممثلا للثورة في المغرب، فكان من نتائج هذا التعيين الخير الكثير للثورة وذلك لما كان يتمتع به مترجمنا من احترام لدى السلطان المغربي.

5. إن تحقيق الاستقلال للشعب الجزائري وتحرره، لم يجعل الشيخ محمد خير الدين يركن إلى الراحة، بل حاول أن يواصل رسالته في جزائر الاستقلال فانتسب إلى عضوية البرلمان الأول للجزائر المستقلة من أجل الإسهام في تكوين الدولة الجزائرية التي طالما حلم بها وعمل من أجلها، لكن جرت الرياح بما لا يشتهيه الشيخ، ففي السنوات الأولى وأثناء حكم أحمد بن بلة الذي لم يكن مع وفاق مع جمعية العلماء المسلمين، استقال الشيخ من البرلمان مبينا أنه ليس من عباد المناصب، بعدما تبين له أن هناك انحراف عن مبادئ الثورة وتنكرا للشعب المغربي الذي قدم للثورة الجزائرية الشيء الكثير، ومع مجيء هواري بومدين استبشر الشيخ محمد خير الدين خيرا بمقدمه، لكن سرعان ما تبين له أن النظام الجديد كان أقسى في تهميشه لدور العلماء وأكثر استبدادا من الأول فقام وبكل شجاعة بواجب التوجيه والنصح الذي يفرضه الإسلام في تقويم اعوجاج الحكام رغم أن الأمر ليس بالسهل، ولا بالخطب اليسير، لكنه قام بذلك فلما لم يجد آذانا صاغية أعلن البراءة من النظام الحاكم ودعا

الشعب إلى تحمل مسؤوليته في التغيير من خلال بيان 1976م، فكلفه ذلك الإقامة الجبرية التي كانت حسب رأيه أحب إليه من المشاركة مع نظام تنكر لعهد الشهداء، فلما أفرج عنه اعتزل السياسة متحصرا عما آلت إليه جزائر الاستقلال، فدام في عزلته إلى أن توفاه الله عام1993م.

وتلخيصا لما سبق يمكن القول أن الشيخ محمد خير الدين قد قدم سنوات العمر في خدمة وطنه وذلك بمجابهة الاستعمار الذي حاول القضاء على هوية الشعب الجزائري بكل ما أوتي من قوة.

الملاحق

الملحق رقم (01): صورة للشيخ محمد خير الدين

الملحق رقم (02): صورة لوفد جمعية العلماء المسلمين الذي زار وادي سوف رفقة الشيخ محمد خير الدين سنة 1937.

الملحق رقم (03): صورة تذكارية لأعضاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1934.

الشيخ عبد الحميد بن باديس وكبار أعضاء جميعة العلماء
الجالسون من اليمن إلى اليسار : محمد السعيد الزاهري، العربي التبسي، البشير الإبراهيمي، محمد إبراهيم الكتاني (من المغرب ضيفا)، عبد الحميد بن باديس، الطيب العقبي، عبد القادر بن زبانة، مبارك الميلي
الواقفون : محمد العيد آل خليفة، فرحات الدراجي، باعزيز بن عمر، مصطفى حلوش، محمد خير الدين، علي الخياري، أبو اليقظان
أخذت هذه الصورة بنادي الترقي حوالي 1934 م

الفهارس

قائمة المختصرات

الرمز	معناه
ص	صفحة
ط	الطبعة
د. ط	بدون طبعة
د. ب	بدون بلد نشر
د. ت	بدون تاريخ
د. ن	بدون ناشر
ج	الجزء

قائمة الاعلام

الرقم	الشخصية	رقم الصفحة
01	يعقوب بن علي بن أحمد	20
02	ابن خلدون	20
03	الشيخ الطاهر زقوطة	21
04	فرحات بن سعيد	21
05	أبو القاسم يوسف جبارة الهذلي	22
06	سعادة الرحماني الرياحي	23

قائمة الملاحق

الرقم	عنوان الملحق	رقم الصفحة
01	صورة للشيخ محمد خير الدين	57
02	صورة لوفد جمعية العلماء المسلمين الذي زار وادي سوف رفقة الشيخ محمد خير الدين سنة 1937.	58
03	صورة تذكارية لأعضاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1934.	59

المصادر

- **القرآن الكريم.**

المراجع

أولا: الكتب:

- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في الحركة الوطنية، ش، و، ن، ت، الجزائر 1978.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1900)، ج1،ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2000.
- أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 3، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1990م.
- أبو القاسم سعد الله، أفكار جامحة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية(1900- 1945)، ج 3، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1992م.
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعرفة للتوزيع، الجزائر، 2010.
- أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، ط 1، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1996.
- أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج2، ط1، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، 1984.
- أنور الجندي، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة مصر،1965.
- بسام العسيلي، عبد الحميد بن باديس وبناء قاعدة الثورة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت، 1983.
- البشير الابراهيمي، سجل جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي، الجزائر، دار الكتب، الجزائر، 1982.

- البشير الإبراهيمي، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام، نادي الترقي، الجزائر، دار الكتب، الجزائر، 1982.

- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم(1900-1940)، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1970.

- تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 2007.

- خير الدين الزركلي، الأعلام، جزء 6، ط 7، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

- رابح لونيسي وآخرون، تاريخ الجزائر العام (1830-1889)،ج1، دار المعرفة، الجزائر ، 2010.

- الزبير سيف الإسلام، تاريخ الصحافة في الجزائر، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985.

- شارل روبير آجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871- 1919، ج1، ترجمة، م. حاج مسعود . أ. بكلي، دار الرائد للكتاب، الجزائر،2007.

- شارل روبير آجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، ترجمة جمال فاطمي وآخرون، جزء 1، ط1، دار الأمة، 2008.

- عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر- بيروت، 1983.

- عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة، ط1، مطبعة سوف، الوادي، الجزائر، 2000.

- عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون (العبر)، ج6، دار الفكر للنشر والتوزيع، 2000.

- عبد الرحمان رزاقي، تجارة الجزائر الخارجية: صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالميتين، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.

- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين و دورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1930- 1945م)، ط 1، دار البعث، قسنطينة، 1981م.

- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية(1931-1945)، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2009.

- عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الاخرى، دراسة تاريخية وأيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد المؤسسة الوطنية للنشر والاشهار، 1996.

- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية لغاية 1962م، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1997م.

- عواطف عبد الرحمان، الصحافة العربية في الجزائر (1954- 1962)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.

- الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى ، الجزائر، د س.

- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم و الحديث، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

- محفوظ قداش، محمد قنانش، نجم الشمال الإفريقي(1926-1937) وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

- محمد الحسن فضلاء، المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر، ج 1، ط1، شركة دار الامة للنشر، الجزائر، 1999.

- محمد الطاهر فضلاء، الشيخ محمد خير الدين آثار... ومآثر، ط1، مؤسسة الضحى، الجزائر،2000

- محمد الطيب العلوي، مظاهرة المقاومة الجزائرية من عام 1830م حتى ثورة نوفمبر 1954،ط1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر،1985.

- محمد خير الدين، مذكرات، ج1، ط2، مؤسسة الضحى، الجزائر ،2002..

- محمد خير الدين، مذكرات الشيخ خير الدين، ج 01، مطبعة دحلب، الجزائر، 1985.

- محمد خير الدين، مذكرات، جزء 1، ط 2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002.

- محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1981م.

- مصطفى الاشرف، الجزائر الامة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- مصطفى الاشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

- نصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،2000.

ثانيا: المذكرات والرسائل الجامعية:

- أسعد لهلالي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية في الجزائر 1902- 1993م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006-2005.

- زينب عسلي، عبد الله مقلاتي: معهد الكتانية بقسنطينة ودوره العلمي والوطني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة، 2013/ 2014.

- صفية عطالي، نورة ذهبي، النشاط الاصلاحي والسياسي والثوري للشيخين ابراهيم بيوض والشيخ محمد خير الدين 1912- 1962م (دراسة مقارنة)، مذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 2019/ 2020.

- عبد الكريم بو صفصاف، الأبعاد الثقافية والاجتماعية والسياسية في حركتي محمد عبده وعبد الحميد بن باديس(دراسة فكرية تاريخية مقارنة)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة تونس الأولى،1996-1997.

- عز الدين معزة، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال 1899- 1985، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2005/2004.

- محمد يزيد علوي، الشيخ محمد خير الدين 1902-1993/ دوره الإصلاحي ونضاله السياسي، دار خيال للنشر والترجمة، رسالة تخرج لنيل متطلبات شهادة الماستر، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

- يمنية مشاليخ، فيلالي أسماء، الجهود الاصلاحية لأبي اليقظان من خلال جريدة الامة (1934- 1938)، مذكرة لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، جامعة جيلالي بونعامة خميس مليانة، 2016.

ثالثا: المقالات العلمية:

- أحمد توفيق المدني، رثاء الفقيد العظيم الأمير خالد، مجلة الشهاب، جزء 11، مجلد 11، طبعة 1، عدد فبراير1936، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 2001.

- أحمد سحنون، تأبين شيخي العظيم الإمام محمد خير الدين، مجلة الموافقات، العدد 03، الجزائر، جوان 1994.

- أسعد لهلالي، المواقف السياسية للشيخ محمد خير الدين (المؤتمر الإسلامي الجزائري 1936، وبيان الشعب الجزائري 1943)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 01، العدد 1، مركز الحكمة للبحوث والدراسات – الجزائر، جانفي 2013.

- أسعد لهلالي، سلوى لهلالي، دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائرين في مجال التعليم والصحافة- الشيخ محمد خير الدين نموذجا-، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، المجلد 06، العدد 02، 2012.

- حياة تابتي، الشيخ محمد خير الدين وجهوده الاصلاحية، مجلة الحضارة الاسلامية، المجلد 21، العدد 01، جامعة أحمد بن بلة، وهران، الجزائر، جوان 2020.

- عبد الحميد بن باديس، جمعية العلماء المسلمين في عامها الثاني، مجلة الشهاب، مجلد 8، جزء 8، 1936م.

- لخضر بن بوزيد، السياسة الاستعمارية تجاه القبائل والعائلات المتنفذة في منطقة الزيبان (1830-1844)، المجلة التاريخية الجزائرية، العدد 05، جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2017.

- ليلى تيتة، تطور البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري خلال القرن التاسع عشر، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 17، جامعة الجيلالي بونعامة، خميس مليانة، الجزائر، ديسمبر 2014.

- محمد الصالح رمضان، جمعية العلماء ودورها العقائدي والاجتماعي والثقافي، مجلة الثقافة، العدد 83، الجزائر، 1984م.

- محمد خير الدين، محمد الميلي، مناقشات حول خلافة ابن باديس، مجلة الثقافة، العدد 81، الجزائر، 1984.

- مصطفى عدنان العيثاوي، عمار أمين ددو، كتاب العدد (الكامل في القراءات العشر والاربعين الزائدة عليها، تأليف أبي القاسم يوسف بن علي بن جبارة)، مجلة الشريعة والقانون، العدد 25، جامعة الامارات، 2006.

- مقدم رشيد، الشيخ محمد خير الدين - مسار وأفكار- 1902 – 1993، محلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد 03، العدد 01، جامعة الشهيد حمة لخضر بالوادي، الجزائر، جوان 2019.

- مقدم رشيد، الشيخ محمد خير الدين مسار وأفكار 1902- 1993، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد 03، العدد 01، 2019.

- مقدم رشيد، الشيخ محمد خير الدين مسار وأفكار 1902- 1993، مجلة قبس للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة زيان عاشور، الجلفة، المجلد 03، العدد 01، 2019.

- يسعد لهلالي، سلوى لهلالي، دور رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائرين في مجال التعليم والصحافة- الشيخ محمد خير الدين نموذجا-، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة عمار ثليجي، الاغواط، المجلد 06، العدد 02، 2012.

رابعا: الجرائد والمجلات:

- الأخضر بوزيدي، "تكذيب ورد إفتراء"، جريدة البصائر، العدد 123، 22 جويلية 1938م.

- جريدة البصائر، قائمة الوعاظ لشهر رمضان، العدد 269، 1954.

- جريدة البصائر، مقال " الجمعية الخيرية الاسلامية"، العدد 4، 1936.

- جريدة البصائر، مقال "الشيخ خير الدين في تونس، استنكار وتبرؤ"، العدد 41، 1948.

- جريدة البصائر، مقال معهد عبد الحميد بن باديس، العدد 158، 1951.

- جريدة البصائر، مقال "خطاب فضيلة الأستاذ محمد خير الدين في الاحتفال بالناجحين في الشهادة الأهلية بالمعهد"، العدد 281، 1954.

- جريدة الشعلة: مقال "بسكرة تحتفل بوضع الحجر الأساسي لمدرستها"، العدد 19، افريل 1950م.

- الحفناوي هالي، وصف الاحتفال الرائع بفتح مدرسة بسكرة، جريدة البصائر، العدد 140-141، 5 فيفري 1951.

- حمزة بوكوشة، جريدة البصائر،العدد317، السنة الثامنة، 6 ماي 1955.

- السعيد الزموشي، " وفد جمعية العلماء في بريقو، جريدة البصائر، العدد 43، 1948م.

- عبد الحميد بن باديس، " المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين"، جريدة البصائر، العدد137، 1938.

- عبد اللطيف بن علي، " وفد جمعية العلماء يزور القنطرة"، جريدة البصائر، العدد 95، 1938.

- فرحات العابد، الشيخ محمد خير الدين في غليزان، جريدة البصائر، العدد36، 1948.

- محمد بن خير الدين، " نهضة الجزائر الدينية، أو موقف المصلحين إزاء خصومه "، جريدة الشهاب، العدد 103، 1927.

- محمد خير الدين، "التعليم العربي الإسلامي بالجزائر"، جريدة البصائر، العدد 115، 27ماي 1938م.

- محمد خير الدين، "التعليم العربي الإسلامي بالجزائر-محاولة القضاء عليه"،جريدة البصائر ،العدد 115، 1938.

- محمد خير الدين، "الوفاق يتملق"، جريدة البصائر، العدد 122، 15جويلية 1938 م.

- محمد خير الدين، "للحقيقة و التاريخ في الزوايا"، جريدة البصائر، العدد124، 29 جويلية 1938م.

- محمد مسلاتي، آثار النهضة الاصلاحية بسوق أهراس، جريدة البصائر، العدد 283، 1954.

- محمد منيع، "إفتتاح مسجد بني مصاف وخطاب الشيخ خير الدين "،جريدة البصائر ،العدد283، 1954.

خامسا: المواقع الالكترونية:

- مواقي عبد الحق، رواد الاصلاح محمد خير الدين (1319-1413هـ/1902-1993م)، تاريخ النشر أوت 2017، متوفر على الموقع الالكتروني لرابطة الشيخ عبد الحميد بن باديس باني النهضة العلمية والفكرية بالجزائر (1889- 1940)، https://binbadis.net .

فهرس المحتويات

الشكر والعرفان .....

الإهداء .....

ملخص الدراسة: .....

مقدمة .....أ

المبحث الأول: عصر الشيخ محمد خير الدين وبيئته

المطلب الأول: البيئة الاجتماعية 6

المطلب الثاني: البيئة السياسية..... 9

المطلب الثالث: البيئة الاقتصادية.....14

المطلب الرابع: البيئة الدعوية (الثقافية) 17

المبحث الثاني: الشيخ محمد خير الدين

المطلب الأول: مولده 20

المطلب الثاني: نشأته 20

المطلب الثالث: مساره العلمي وميوله السياسي 23

المطلب الرابع: أعماله ووفاته.....26

المبحث الثالث: الجهود الاصلاحية للشيخ محمد خير الدين

المطلب الأول: مكانته في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....31

المطلب الثاني: فكره الإصلاحي 34

المطلب الثالث: دوره التربوي.....40

المطلب الرابع: نشاطه الصحفي.....46

الخاتمة 61

الملاحق.....57
قائمة المختصرات.....61
قائمة الاعلام.....62
قائمة الملاحق.....63
قائمة المصادر والمراجع.....64
فهرس المحتويات.....71